البحث الحادي عشر

التربية الإسلامية عند سماحة

الشيخ أبي الحسن عليّ الحسني الندويّ

الدكتور محب الدين أحمد أبو صالح(*)

(*) أستاذ مساعد مناهج التربية الإسلامية وطرق تدريسها في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

أولاً: أهمية التربية والتعليم في حياة الأمم والشعوب

يؤمن الشيخ - يحفظه الله - بأهمية التربية والتعليم في حياة أية أمة من الأمم، أو شعب من الشعوب، ويؤكد ذلك في كتبه ومحاضراته، وندواته ولقاءاته مع المفكرين والمصلحين والعلماء والقادة السياسيين والتربويين، حيث يعد التربية والتعليم أكبر أمانة ومسؤولية في أعناق الحكام والمسؤولين عن حكم البلاد، وإدارة مؤسساتها، يقول في إحدى محاضراته: «... أمّا بعد: فإني لا أعرف أمانة أكبر مسؤولية، وأشدّ خطراً، وأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها، من التربية والتعليم، فزلة من زلاتها، قد تُرْدي أمة بأسرها في هاوية، وقد تؤدي بها إلى الاضمحلال والتفسخ... كذلك يمكنها وحدها أن توجه العقول والنفوس، توجيهاً صالحاً، وتنشئ الأمة نشأة جديدة، وتبني لها مستقبلاً باهراً..»[١]، ولذا يؤكد في أحد مؤلفاته أن العمود الفقري لتوجيه دولة أو شعب يتعلق بتوجيه المعارف[٢]. ويرى الشيخ أن هذا الأمر ينطبق على الأمة الإسلامية- مثل غيرها- وأن«مصير البلاد الإسلامية، وقضية بقاء الأجيال المسلمة اللاحقة على الإسلام، أو انسلاخها عنه، ليس منوطاً بالميدان السياسي، إنما هو منوط بالميدان التعليمي والثقافي..»[٣].

والشيخ لا يُغْفِلُ ذكر أهمية المؤسسات المشاركة في بناء سلوك الأفراد وتنشئتهم- غير التربوية والتعليمية- يقول: «.. وأشد من ذلك خطراً هو سياسة التربية والإعلام التي لا أداة أقوى تأثيراً أو فعالية منها في صياغة الجيل الصاعد، وتكوين عقليته ومشاعره، وأخلاقه، ومثله، فهي المرضعة والحاضنة، وهي المعلمة والمربية، وهي التي تستطيع أن تنحت من أمّة ذات

(١) أبو الحسن الندوي- التربية الإسلامية الحرة (بيروت - مؤسسة الرسالة ١٣٩٧/١٩٧٧).

(٢) أبو الحسن الندوي- الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية. ط١ لبنان- دار الندوة للتوزيع ١٣٨٥/١٩٦٥. ص١١٠.

(٣) أبو الحسن الندوي- أسبوعان في المغرب الأقصى- ط١ (بيروت- مؤسسة الرسالة-١٤٠٢/١٩٨٢) ص٩٩.

عقائد ومبادئ ومُثُلُ، أمّة جديدة لا تتصل بآبائها إلاّ بالولادة، والدم والنسل، وبالأسماء، وباللغة أحياناً..»[١].

إن شدة اهتمام الشيخ بتأكيده أهمية التربية والتعليم في حياة الأمم والشعوب، جعلته يقول لوزراء التربية والتعليم المجتمعين في الكويت عام ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م: «... لقد أصبح من المقرر في كلّ بلد واعٍ، حريص على سلامته وشخصيته، أن المعارف ليست إلاّ جهازاً يفرز المعاني والأسس التي يؤمن بها هذا الشعب، ودَرَجَتْ عليها أجياله، ويعيش بها وفيها...

وعلى هذا الأساس يتفق المعسكران الشرقيّ والغربيّ، وقد دلَّ ما سبق من أقوال خبراء التعليم، وقادة الفكر في أوروبا وأمريكا على وجهة نظرهم إلى المعارف، وأنها ليست إلاّ أداة مؤثرة، وَفيّة، لترسيخ العقيدة، ونظرة الأمة إلى الحياة والكون، وتعميق جذورها في قلوب الناشئة، ونفوسها، ونقل التراث العقلي، والعقائدي، والاجتماعي، إلى الأجيال القادمة، وإقناعها بضرورة الاحتفاظ بها، والمثابرة عليها، والجهاد في سبيلها..»[٢].

ثانياً - أهمية التربية الإسلامية :

بعد تقرير الشيخ مدى أهمية التربية والتعليم في حياة أيَّة أمة وشعب، يؤكد مدى أهمية «التربية الإسلامية» في حياة الأمة الإسلامية، وأنها الأداة الفعالة المؤثرة في بناء الفرد المسلم، والبيت المسلم، والمجتمع المسلم، والحضارة الإسلامية، وأن الحياد عنها، بله تركها، يؤدي إلى فساد عريض، ومخاطر كبيرة في حياة المسلمين، ومما قاله في ذلك: «إن بقاء الشعب من غير توجيه ديني، وتربية إسلامية، ووعي شامل، خطر كبير، وأنه يصير لقمة

(١) المرجع السابق- ص١٥١.

(٢) أبو الحسن الندوي- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب (الهند- دار عرفات للنشر والترجمة والتوزيع ١٣٩٧/١٩٧٧). ص١١٩-١٢٢.

سائغة، ومالاً سائباً لكل مفسد وملحد، وللدعوات الهدامة، والفلسفات المحاربة للإسلام..» [١]، ومما يؤكد به مدى أهمية التربية الإسلامية تقريره أنها النظام التربوي الذي يعتمد على النظرة التي يقدمها الإسلام للألوهية والإنسان والكون والحياة، وبذلك يأخذ منه جميع حقائقه، ومفاهيمه، ومبادئه، وقيمه، وأساليب التفكير والتذوق، ويؤدي إلى تنشئة «.. الجيل المؤمن المثقف، الذي يجمع بين العقيدة والعلم، ويؤمن بخلود رسالة الإسلام، وصلاحيتها لكل عصر ومصر، وأنها هي المنقذة للعالم من النهاية الأليمة التي ترتقبه، ومن المستنقع الذي يتردى فيه» [٢].

إن إيمان الشيخ العميق بمدى أهمية التربية الإسلامية في حياة المسلمين جعله يؤكد ذلك في رسائله وأحاديثه، مع الحكام المسلمين من ملوك وأمراء، ووزراء، كتب لأمير الكويت: «.. إذ المعارف هي مربية الأجيال القادمة، وعليها يتوقف مستقبل هذا الشعب الديني، والخُلُقي، واتجاهه للمدنية، ومنع الميوعة والتفسخ الخلقي في الشباب والنشْء..» [٣]، وكتب لمعالي الشيخ محمد سرور الصبان: «.. وقد تحدثنا مع جلالة المغفور له الملك فيصل عن سياسة التربية، وعن سياسة الإعلام، التي تصوغ مستقبل الأجيال صياغة خاصّة، لا تتفق مع رسالة هذا الشعب الذي يطلب منه أن يمثل دوره القيادي، والذي يعتبر نموذجاً للمسلم في كل بلد..» [٤] وهذا لا يتم «إلاّ بوجود نظام للتربية والتعليم، يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة، وبين قوة العاطفة، وإشراق الروح،

(١) أبو الحسن الندوي من نهر كابل إلى نهر اليرموك «جولة في غرب آسيا» - (أنقره - دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٤/١٩٧٤) ص٣٠.

(٢) أبو الحسن الندوي، التربية الإسلامية الحرة، مرجع سابق، ص٤١.

(٣) أبو الحسن الندوي- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز، وجزيرة العرب- مرجع سابق، ص١٣٣-١٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص٧٠.

والتهاب جذوة الإيمان، وبين العلم الواسع، والفكر النَّيِر، ومعرفة أحدث ما وصلت إليه الأجيال من تجربة واكتشاف»[١].

يجد الشيخ أن مدى أهمية التربية الإسلامية تعظم وتكبر في المجتمعات الإسلامية التي وقعت تحت حكم الاستعمار، وفرض عليها نظام التعليم الغربي، لأنها السبيل لإعادة صياغة أفراد المجتمع المسلم، «وتنمية الوعي الصحيح وتربيته. والفهم للحقائق والقضايا، والتمييز بين الصديق والعدوّ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر، حتى لا تتكرر مآسي وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية، والنعرات القومية، والعصبيات اللغوية، والسلالية، والإقليمية، ولعنة القيادات الداهية، والمؤامرات الأجنبية، فتذهب ضحية سذاجتها، وضعفها في الوعي الديني، والعقل الإيماني، فتذهب جهود تكوين الجو الإسلامي، أو تتعرض لخطر تطبيق النظام العلماني، والتحرر، والتقدميّة الغربيّة، المقبولة في العصر الحاضر، والمطلوبة من الجماهير التي لم تتلق تربية إسلامية، ونشأت في ظلال نظام التربية الغربي، الذي طبقه الحكم الأجنبي.. الذي يسمّى الاستعمار، وتحت تأثير وسائل الإبلاغ المسلية الماجنة»[٢].

ثالثاً - مفهوم التربية الإسلامية :

لا يجد الباحث في كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه تعريفاً محدداً للتربية الإسلامية، بل نجده لا يستعمل تركيب «التربية الإسلامية» إلاّ نادراً، وهو بذلك على سنن علماء الأمة المسلمين القدامى، الذين كتبوا في قضايا التربية والتعليم في الإسلام ولم يستعملوا مصطلح «التربية الإسلامية»، لإيمانهم أن عملية التربية والتعليم لا يمكن أن تكون مقطوعة عن

(١) أبو الحسن الندوي- التربية الإسلامية الحرة- مرجع سابق ص٤١ .

(٢) أبو الحسن الندوي- ترشيد الصحوة الإسلامية - (الهند، دار عرفات للتربية والنشر والتوزيع، ١٤٠٩-١٩٨٩)، ص١٧-١٨.

الإسلام، أو مسلوخة عنه. ولعلَّ شيئاً آخر دعا الشيخ لذلك، هو أن يكون كلامه مقبولاً عند كل من يقرأ له، أو يستمع منه من غير المسلمين، حيث يكتفي بتأكيده أن نظام التربية والتعليم ينبغي أن يكون مرتبطاً بعقائد الأمة، ورسالتها، وقيمها ومبادئها، وتراثها، وتاريخها.

لكن الدارس في كتابات الشيخ ومحاضراته، وخطبه، ورسائله يدرك أن مفهوم «التربية الإسلامية» لديه يعني النظام التربوي الذي جاء به الإسلام لتحقيق غاياته وأهدافه، باعتماد التربية الإسلامية تصورات الإسلام، وحقائقه ومفاهيمه نحو الألوهية، والإنسان، والكون، والحياة المبثوثة في ثنايا القرآن والسنة في تحديد إجابات الأسئلة الهامة التالية: لماذا نعلِّم؟ مَنْ نعلِّم؟ ماذا نعلِّم؟ كيف نعلِّم؟ أين نعلّم؟ متى نعلّم؟، وبذا يكون التعليم في هذا النظام التربوي مرتبطاً بطبيعة الأمة الإسلامية الخاصّة، باعتبارها «أمة ذات مبدأ ورسالة، ودعوة، فيجب أن يكون تعليمها خاضعاً لهذا المبدأ، والعقيدة، وهذه الرسالة والدعوة، لأن التعليم أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ، وتدين بهذه العقيدة، وتحمل هذه الرسالة، وتؤدي هذه الدعوة. وكل تعليم لا يؤدي هذا الواجب، أو يغدر بذمّته، ويخون في أمانته، فليس هو التعليم الإسلامي..»[1].

ما سبق يؤكد أن «التربية الإسلامية» نظام تربوي متميز عن النظم التربوية الأخرى؛ الدينية المنحرفة، أو العلمانية، أو الجاهلية، يقول الشيخ: «هذه مهمة النُّبوَّة، ودورها في إنقاذ البشرية المشرفة على الغرق، وهذه طبيعة عمل الأنبياء والرسل، وامتيازه عن سائر أصناف التعليم والتربية، والترويح والتسلية»[2].

(١) أبو الحسن الندوي- التربية الإسلامية الحرة - مرجع سابق. ص٧.

(٢) أبو الحسن الندوي- السيرة النبوية (صيدا-م العصرية للطباعة والنشر -١٣٩٩/١٩٧٩) ص ٥٣٤ .

رابعاً- مصادر التربية الإسلامية:

تفيد كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه ورسائله، أن مصادر التربية الإسلامية لديه مرتبطة بمصادر التشريع الإسلامي- بالقرآن الكريم والسنة النبوية-، وبمقاصده، وقواعده، ومبادئه العامة، وبسيرة رسول الله ﷺ، وأصحابه، حيث يقول في إحدى محاضراته: «والأمر الثاني الذي يجب أن نضعه في الاعتبار، هو أن نظلّ على اتصال دائم بمنبع الهداية والإرشاد.. الكتاب والسنّة، وأسوة الرسول- عليه السلام- وأصحابه البررة الكرام، وأتباعهم العظام..» [١] لإيمانه أن العناصر التي كونّت المجتمع الإسلامي الجديد، ونشأت منها الأمة الجديدة إنما هي:

١- القرآن الكريم.

٢- شخصية النبيّ ﷺ، وحياته وسيرته وأخلاقه.

٣- تعليمات النبيّ- عليه الصلاة والسلام- وإرشاداته، وتوجيهاته، وأعماله التي يُسَمَّى مجموعها بالسنة، ويحتوي عليه الحديث الشريف [٢].

ونشير إلى كل من مصادر التربية الإسلامية - باختصار- فيما يلي:

١- القرآن الكريم:

مما نستدل به على أن القرآن من مصادر التربية الإسلامية قول الشيخ: «ويعجبني في ذلك ما قاله شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي والمحقّق أن الغاية الأساسية من نزول القرآن هي تهذيب النفوس البشرية، والقضاء على العقائد الباطلة، والأعمال الفاسدة..» [٣] ومما نستدل

(١) أبو الحسن الندوي- الطريق إلى السعادة والقيادة للدول والمجتمعات الإسلامية الحرة ط١ - بيروت - مؤسسة الرسالة ١٤٠٢/١٩٨٢) ص١٩١

(٢) أبو الحسن الندوي - دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته (الهند- م ندوة العلماء، ١٤٠١). ص٨ .

(٣) أبو الحسن الندوي - الصراع بين الإيمان والمادية «تأملات في سورة الكهف» ط١ الكويت - دار القلم - ١٣٩٠ / ١٩٧١). ص ٤٢.

به قوله: «لم يزل صاحب هذه التأملات تلميذاً متواضعاً من تلاميذ مدرسة القرآن الإيمانية، والعلمية، والدعوية الإصلاحية، يدين لهذا الكتاب العظيم، في ثقافته وتدبره، وكتاباته وبحوثه ومؤلفاته، وفي خطبه الشعبية، ومحاضراته العلمية، ما لايدين لأي كتاب، أو دراسة علمية، أو مدرسة فكرية، أو أدب من آداب اللغات والثقافات يشهد بذلك من اطلع على ما وفق الله إليه كاتب هذه السطور من كتابات وخطابات» [١] ولذا كان يملي على تلامذته- عندما عيّن معلماً للتفسير في ندوة العلماء - مقالات تمهيدية تهيئ العقول والأذهان، لدراسة القرآن العميقة، والإيمان بإعجازه وخلوده، وتُيسِّر طرق الانتفاع والنفع به في مجالات الدعوة والعلم والبحث..» [٢]. وكان يربيِّهم بالقرآن على أن من موانع الاستفادة منه: «١- الكبر.. ٢- المجادلة.. ٣- الكفر بالآخرة، وعبادة المادة..» [٣].

وأن مؤيدات الاستفادة من القرآن الكريم «١- الرغبة والطلب.. ٢- الاستماع والاتباع.. ٣- الخشية والرهبة..٤- الإيمان بالغيب.. ٥- التدبر.. ٦- المجاهدة..٧- التأدب والتعظيم..» [٤].

٢- السنة النبوية:

مما نستدل به على أن السنة النبوية، والحديث الشريف من مصادر التربية الإسلامية تقرير الشيخ أن لها دوراً كبيراً في حياة المسلمين، وتكوين الجوّ الدينيّ، يقول: «واقع حياة النبي -ﷺ- المباركة، وإرشاداته، وتعاليمه، تخلق ذلك الجوَّ الذي تخضر فيه شجرة الدّين، وتورق وتثمر. إن الدّين ليس مجموعة من الضوابط الخُلُقية الجافّة، إنه لا يبقى حيّاً بدون العواطف،

(١) أبو الحسن الندوي- تأملات في القرآن الكريم- ط١ (دمشق، دار القلم-١٤١١/١٩٩١) ص ٥-٦.
(٢) المرجع السابق. ص ٦ .
(٣) أبو الحسن الندوي- المدخل إلى الدراسات القرآنية-ط١ (القاهرة- دار الصحوة ١٤٠٦/١٩٨٦) ص١٢٩-١٣٥ .
(٤) المرجع السابق. ص١٣٧-١٤٨.

والوقائع، والأمثلة العملية، وخير مجموعة موثوقة بها لهذه العواطف والوقائع والأمثلة العملية هي مجموعة الحديث النبوي التي أصبحت من خصائص الأمة الإسلامية..» [١] ويرى أنه «بفضل هذا الثروة الحديثية، استطاع المؤمنون الحاذقون في مختلف العصور، والبقاع، أن يؤلفوا للمسلمين كتباً تكون دستوراً كاملاً لحياتهم، حتى إذا أراد المسلم، مهما كانت مهنته وطبقته، ألا يخطو خطوة، ولا يبت في أمر، ولا يمارس نشاطه إلاّ في ضوء الهدى النبويّ العامّ أمكن ذلك..» [٢] ومما يذكره الشيخ، ويفيد اعتبار السنة والحديث من مصادر التربية الإسلامية ما يكشف عن مكانتها وأنها بمثابة الإطار المرجعي في حياة المسلمين، يقول: «.. إن الحديث ميزان عادل لوزن حياة المسلمين وواقعهم، والحكم عليه في كلّ عصر، وإن الحديث وسيلة قوية للحسبة على المجتمع الإسلامي، ومدرسة دائمة يتخرج فيها المصلحون، والمجددون» [٣]. وتجعل «المسلم المتخرج في هذه المدرسة النبوية التربوية مثلاً كاملاً، وأسوة مرموقة في السموّ الخلقي، والسلوك الإنساني، مقتبساً في كلّ ذلك عن مشكاة النبوّة، والتعليمات التربويّة..» [٤]، ولذا يلفت نظر المسلمين إلى أن «حاجة هذا العصر أشد إلى الاحتفاظ بالحديث والسنّة من العصور الماضية» [٥] لأنها هي التي تقف في وجه منكري الحديث والسنة، ووجوب العمل بها، من دعاة تقليد الحضارة الغربية، وتحول دون «تحقيق أغراضهم وهدفهم لنقل الجيل الإسلامي المعاصر من حضارة إلى حضارة، ومن منهج الحياة القائمة على التعاليم الإسلامية والآداب النبويّة السنّية، وأُسوة الرسول- ﷺ- التي حثَّ

(١) أبو الحسن الندوي - دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته- مرجع سابق ص١٧.
(٢) النبي الخاتم (الهند - المجمع الإسلامي العلمي- ١٣٩٤/١٩٧٤). ص١٥.
(٣) المدخل إلى الحديث - مرجع سابق، ص٦٨.
(٤) أبو الحسن الندوي - المدخل إلى الحديث- مرجع سابق. ص٢٨.
(٥) المرجع السابق. ص٦٨.

عليها القرآن، ودعا إليه بصراحة..»[١] كما نجده يؤكد على أن الدعوة إلى التشكيك في حُجِّية الحديث، وإنكار السنة، وزحزحة الثقة بها مؤامرة على الإسلام، لأنها بذلك تجعل الأمة الإسلامية «محرومة الإرث، محذوقة الصدر، مقطوعة الأصل، حائرة تائهة..» [٢].

٣- السيرة النبوية:

أمّا السيرة النبويّة فهي - أيضاً- من مصادر التربية الإسلامية، إضافة إلى السنة النبوية، والحديث الشريف، ونجد الشيخ يجمع بينهما في كثير من كتاباته، ومحاضراته، منها قوله:« ... ولمّا انقضت هذه الصحبة الكريمة، ولحق الرسول- ﷺ- بالرفيق الأعلى، كان الحديث الشريف، والسيرة العطرة يملآن هذا الفراغ..» [٣] ولأهمية السيرة النبوية في حياة المسلمين وتربيتهم، كان كتاب الشيخ فيها، أكبر كتاب أعده، وقال فيه: « ... وحاولت أن يجمع الكتاب بين الجانب العلمي، وبين الجانب التربوي البلاغي، لا يطغى أحدهما على الآخر، وأن يشتمل على أكبر مقدار من القطع النابضة، الدافقة بالحيوية والتأثير، الآسرة للقلوب والنفوس..» [٤] ويذكر الشيخ ما يفيد أنه كان للسيرة النبوية الدور الكبير في تربيته وتنشئته يقول: « .. السيرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - المدرسة الأولى التي تعلّم فيها مؤلف هذا الكتاب، وقد دخلها في سنّ مبكرة، لا يدخل فيها الأطفال في عامة الأحوال، والفضل في ذلك يرجع إلى الجوّ الذي كان يسود بيته وأسرته..» [٥]. وقد وجدها- بعد

---

(١) المرجع السابق. ص٦٩.

(٢) المرجع السابق. ص٧٣.

(٣) العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنّة، والسيرة النبوية ط٢ (الكويت، دار القلم ١٤٠٢/١٩٨٣). ص١٣٦ .

(٤) السيرة النبوية- مرجع سابق. ص١٥-١٦.

(٥) السيرة النبوية ص٣٠.

دراساته التاريخية أنها«.. تتميز من بين سير أفراد البشرية، وفيهم الأنبياء، وغير الأنبياء، بدقتها وشمولها، واستيعابها لدقائق الحياة، وتفاصيلها، وملامحها، وقسماتها، وذلك بفضل علم الحديث الذي لا يوجد له نظير لا في تاريخ الأنبياء، ولا في تاريخ العظماء..»[١].

٤- العلم:

يرى الشيخ أن «العلم» من مصادر التربية الإسلامية- أيضاً- لأن «هذا الدين الإسلامي نابع من العلم.. لايمت إلى الجهل بصلة ما، إنه ليس وليد الجهل، أو القوة الحربية إنه وليد المعرفة والهداية الإلهية، والوحي السماوي، والعلم الربّاني..»[٢].

ويؤكد ذلك أن الوحي لم يبتدئ فيه.. بكلمة (اعبد) ولا كلمة (صَلِّ)، أو ما إليهما من الكلمات المتجانسة، وإنما يبتدئ بكلمة (اقرأ) يخاطب المنزل عليه بالقراءة، ولا عهد له بها، لكي يقرر ويؤكد له أن الأمة التي يكلّف بهدايتها، وتربيتها وتعليمها، ليست ولوعاً بالعلم فحسب، بل ستكون معلّمة العالم، مولعة بنشره، وتصعيده، وترقيته، والعهد الذي تقوم فيه بوظيفة الهداية والتبليغ، والتربية والتعليم، ليس عهد الأمية والوحشة والجهل.. إنما هو عهد العلم والعقل والتفكر، وعهد النظر والحكمة، وعهد البناء والتعمير، وعهد حبّ الإنسانية، وعهد الرقي والتقدم..»[٣] ويعد الشيخ أن ارتباط العلم بالدّين، أحد المعطيات العشر، والمنح الأساسية التي ظهرت فيها تأثيرات الإسلام في حياة الأمم والشعوب والحضارة[٤] لأن العلم من مصادر التربية الإسلامية، ولا

---

(١) السيرة النبوية، مرجع سابق. ص١٢.

(٢) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص٩١.

(٣) دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء، وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة- ط١ (الهند- المجمع الإسلامي العلمي- ١٤٠٧/١٩٨٧) ص٢٠-٢١.

(٤) الإسلام، أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية (الهند- المجمع الإسلامي العلمي - ١٤٠٥/١٩٨٥). ص ٧٩.

يكون كذلك إلاّ إذا كان مرتبطاً بعقيدة الأمة، ورسالتها ومثلها، وقيمها، أو غير مخالف لها، أو متناقض معها، على علاته، وكأنه مُسَلَّم به؛ لا يجوز النظر فيه، أو تقويمه، حيث يقول: « يجب أن لا نتناول العلوم والآداب، والمناهج التعليمية، ونظريات التربية التي ظهرت في الغرب والشرق على أنها آخر ما وصل إليه العلم البشري.. بل نأخذها على أنها تجارب بشر عملية، يخطئ ويصيب،... ولا نأخذ العلوم والآداب واللغات على أنها أشياء، قد بلغت نهايتها، وختم عليها بختم لا يُفَضُّ، بل نأخذها على أنها مواد خامة، نصنع منها ما نشاء، وفق حالتنا، وحاجتنا، ونفرغها في قالبنا، ونجردها مما اقترن بها- في غير لزوم، ولا مبرر- من عوامل الإلحاد والإفساد، والاستخفاف بالقيم الخُلُقية، ونأخذها نقية، صافية، مهذبة، منقّحة، بل نطعمها بالإيمان بالله، والنظر العميق- المؤسس على الإيمان- إلى الكون، وهكذا نجعل العلوم والدراسات كلَّها في غير تعسف، ولا إرهاق، وسيلةً للعلم، والحكمة، وسبيلاً إلى الإيمان والمعرفة..»[1] ولذا يوجّه المعلمين والمربين إلى أهمية مساعدة المتعلمين على الإفادة من العلم والبحوث والدراسات، مع مناقشتها والنظر فيها على الشكل الذي ذكرناه آنفاً، يقول الشيخ: «... وقد أثبت علم التربية، وعلم النفس، أن الحجر على الشباب في القراءة والاطلاع، كالحجر على الأطفال القاصرين، الذين لم يبلغوا سن الرشد.. إن المنهج التربوي المتزن، السليم، هو الاطلاع على وجهات النظر، والمدارس الفكرية المختلفة، مرفقاً ذلك بتوجيه الأساتذة الراسخين في العلم والدين، مع مناقشتها، وعرضها على المحك العلمي، والديني، وتقرير الصحيح، وتزييف الزائف، وذلك مما يتفق عليه خبراء التربية، وأصحاب التجربة والاختصاص في علم النفس وعلم الاجتماع..»[2].

(١) التربية الإسلامية الحرة - مرجع سابق، ص٧٢-٧٣.

(٢) دور الجامعات - مرجع سابق، ص١٦.

خامساً: أهداف التربية الإسلامية:

يؤمن الشيخ بأهمية تحديد الأهداف التربوية التعليمية، ويقرر أنها يجب «.. أن يدور حولها نظامها ومناهج دراستها، ويقوم عليها جهازها العظيم، ويخضع كل شيء في هذه المؤسسة من كتب، ونظم، وأساتذة لهذه الأهداف» [1] ولذا نجد في كتابات الشيخ ومحاضراته وكتبه الكثيرة من العبارات المتعلّقة بغايات أو مقاصد، أو أهداف العملية التربوية التعليمية، أو مؤسساتها، أو مراكزها، أو مناهجها، أو أساتذتها، أو المستفيدين منها، ونحن بدراستنا لما نجد من هذا الكثير، يمكننا أن نحدد أهداف «التربية الإسلامية» عند الشيخ فيما يلي:

١-إعداد الفرد المسلم:

يرى الشيخ أن إعداد الفرد المسلم، وصياغته عَقَدياً، وعقلياً، ودينياً وعلمياً، ونفسياً، وعاطفياً، واجتماعياً وخلقياً، وجسمياً من أهداف التربية الإسلامية، والتي كان يعنى بها رسول الله -ﷺ-، وكانت أعظم مأثرة من مآثر نبوته، يقول الشيخ: «.. من الواقع المحقق أن كل نبوّة، قامت في عهدها بصياغة الإنسان صياغة جديدة، أو تربيته تربيةً فاضلة، وأعدت أفراداً منحوا هذا العالم حياة من جديد، وألبسوا الحياة لباس الهدف والمعنى.. ولكن أعزّ مأثرة تلمع على جبين الحياة الإنسانية، من بين مآثر النبوة هي المأثرة الكبرى التي قام محمد رسول الله -ﷺ-... فإن التوفيق الذي أكرمه الله به في مجال تربية الإنسان وصياغته، إنما تَفَرَّدَ به من بين الأنبياء والمرسلين، فضلاً عن المعلمين والمربين، إن المستوى الذي بدأ منه النبي - ﷺ- في بناء الإنسانية لم يبدأ به أي نبي أو مصلح، أو مربٍّ.. وكل فرد من أفراد الجيل الذي أعده

(١) التربية الإسلامية الحرة- مرجع سابق. ص٨٨-٨٩.

الرسول الكريم، كان نموذجاً رائعاً للتربية النبوية، ومفخرة وشرفاً للنوع الإنساني..».

ومن مآثر النبوة أنها صنعت رجالاً كانوا أفذاذاً من نوعهم في التاريخ، ولولا شهادات تاريخية متواترة عن هؤلاء الرجال، لما عدا ذلك خيالاً شعرياً، وقصة أسطورية، ولكنها الآن حقيقة تاريخية، وواقع معلوم لا مجال للشكّ فيه...» (١).

ويرى الشيخ أن هدف التربية الإسلامية من إعداد الفرد المسلم، أن تتم تربيته على «.. الصفات الدقيقة السامية المثالية والقوة الروحية الداخلية، والثقة بخلود الدين، والغيرة عليه، والقدرة على التمييز الدقيق بين الجاهلية والإسلام، والإشراك والتوحيد، والسنة والبدعة، والامتياز بالاشتغال بالحديث الشريف، ومطالعة تاريخ المصلحين المجددين في عصور مختلفة..» (٢) ويذكر - أيضاً- أنه لا بدَّ من جعل:« ... وظيفة كلّ مدرسة إسلامية، أو جامعة إسلامية، أو مركز إسلامي للتعليم والثقافة أن تخرج رجالاً يقومون عن جدارة ومقدرة بالتلاوة، وبتعليم الكتاب والحكمة، وبالتزكية: الأركان الأربعة والمقاصد الأولى، التي كانت لها البعثة..» (٣)، وبذلك كلّه يكون «الفرد المسلم» هو: «المؤمن القوي، العليم، الصالح، المصلح، الذي يسخّر القوى الكونية والمادية، ويمتلك أعظم مقدار من الأسباب، والوسائل، ويوسع فتوحه ومغامراته، وهو في كل ذلك، وفي أوج قوته وسلطته، وسيادته، وتسخيره للقوى والأسباب، مؤمن بربه، خاضع له، مؤمن بالآخرة، ساع لها، مقر بضعفه، رحيم بالإنسانية، وبالأمم الضعيفة، حامٍ للحق، يستخدم كل وقته، وجهوده، ومواهبه، وجميع وسائله، وذخائره لخدمة الإنسانية، وتكوين المجتمع الصالح، وإعلاء كلمة الله،

(١) صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم، بين السنة والشيعة- (١٤٠٥/١٩٨٥). ص٢٦-٢٨.
(٢) دور الجامعات- مرجع سابق. ص٢٧-٢٨ .
(٣) الطريق إلى السعادة والقيادة.. مرجع سابق. ص٢١٧-٢١٨.

وإخـراج النـاس من الظلمـات إلى النـور، ومن عـبـادة النـاس والمادة على عبادة الله..» [١].

٢- إعداد المجتمع المسلم :

يرى الشيخ أن إعداد المجتمع المسلم- أو المحافظة على المجتمع المسلم- من أهدافه التربية الإسلامية، التي يحتاج إليها المسلمون اليوم. بل العالم جميعه حيث يعيش جاهلية من جديد، ويذكر أن رسول الله ﷺ قد حققّ هذا الهدف السامي، الذي كان له الأثر القوي في حياة المسلمين، وزرع الأخوّة والمحبة بينهم، وإقامة التكافل والتضامن بينهم، وتحقيق العدل والمساواة فيهم، مما جعل «... ما يمتاز به المجتمع الإسلامي الأول، المثالي، الصحابة- رضي الله عنهم- بفضل التربية النبوية، الدقيقة، الشاملة، بالجمع بين الدين المتين، الذي لا مغمز فيه، والإيمان القوي الذي لا يعتريه وهن، وبين الوعي الناضج الكامل، فكانوا لا يخدعون ولا ينخدعون، ولا يسيغون شيئاً ينافي الإسلام، وينافي العقل، وينبذون الذي يضرهم، ويجني عليهم، أو يوقعهم في خطر أو تهلكة.. كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً نموذجياً، مثالياً في كل شيء»[٢]. لقد أصبح المجتمع المسلم «طاقة زهر اقتلعت منه جذور الجاهلية وجراثيمها.. وأصبحت الطبقات والأجناس في المجتمع الإسلامي متعاونة، متعاضدة، لا يبغي بعضها على بعض.. كان المجتمع الإسلامي مجتمعاً رشيداً، عاقلاً، مسؤولاً عن أعماله.. وأصبح المسلمون أعواناً على الحق، أمرهم شورى بينهم، يطيعون الخليفة ما أطاع الله فيهم..» [٣].

---

(١) موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية- (الهند- المجمع الإسلامي العلمي- ١٣٨٢/١٩٦٣). ص١٠٢.

(٢) الدعوة إلى الله، حماية المجتمع من الجاهلية، وصيانة الدين من التحريف- (الهند- دار عرفات) بدون تاريخ ص٨-٩.

(٣) العبارات مقتبسة من كتاب: «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» - ط١٢ (الكويت- دار القلم-١٤٠٢/١٩٨٢) ص١٠٩-١١١.

ويرى الشيخ أن هذا المجتمع الذي هو نتاج التربية الإسلامية- التربية النبوية المحمدية-، هو ما يحتاجه العالم في حياتنا المعاصرة- حيث عادت إليه الجاهلية من جديد، يقول: «إن الحاجة الكبرى اليوم أيها السادة! هي وجود مجتمع مثالي، نموذجي، يرضاه الله تبارك وتعالى، ويكون في صالح الإنسانية، ويكون مرآة للتعاليم الإسلامية، في العقائد أولاً، ثم في الأخلاق، والمعاملات وشعب الحياة، هذا المجتمع مفقود- لا أقول: معدوم-، وإني أعيذ نفسي أن أقول هذه الكلمة، ولكنه مجتمع مطلوب في الواقع، ومجتمع محتاج إليه..» [١] ويذكر أنا نحن المسلمين بحاجة- أيضاً« .. أن ننشئ مجتمعاً، نموذجياً، مثالياً في بلد من بلاد الإسلام.. نحن في أشد الحاجة لننشئ هذا المجتمع، وهذا لا يكون إلاّ إذا كان عن طريق المنابر في المساجد، وعن طريق التوجيهات التربوية وعن طريق الدروس الدينية» [٢].

ولتحقيق هذا لا بدَّ أن يكون من أهداف التربية الإسلامية- حالياً- الحفاظ على المجتمع الإسلامي، وإعادة إعداده من جديد، على أساس أن « ... إيمان هذه الشعوب وتمسكها بالإسلام، وتحمسها لها، هو السور القوي العالي، الذي يعتمد عليه في بناء هذه البلاد..» [٣].

٣- إعداد الأمة المسلمة:

يرى الشيخ أن من أهداف التربية الإسلامية «إعداد الأمة المسلمة» ولذا عني رسول الله- ﷺ- بتكوين الأمة الإسلامية، وذلك لتضطلع بالمسؤوليات الملقاة على كاهلها، والمأمورة بها في القرآن الكريم من أمرٍ بالمعروف، ونهي عن المنكر، والشهادة على الأمم الأخرى، يقول الشيخ:

---

(١) حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل ط١ (الهند- المجمع الإسلامي العلمي- ١٤١٠/١٩٩٠). ص٦-٧.
(٢) المرجع السابق. ص١٤-١٥.
(٣) الدعوة إلى الله، مرجع سابق، ص٦.

«وقد نيطت بهذه الأمة الإسلامية، مسؤولية الوصاية على العالم، والحسبة على الأخلاق والاتجاهات، وسلوك الأفراد، والأمم، ومسؤولية القيام بالقسط والشهادة لله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واعتبار نفسها أمة مسؤولة يوم القيامة عن مدى قيامها بهذا الواجب..» [١] ولذا «... كان هذا الشعور بمسؤولية البعثة، وبمسؤولية المأمورية يملأ جوانح الصحابة، رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان.. وهذا هو الشيء الذي أثَّر في مصير الإنسانية، وكانت - بالنسبة إلى الناس- تجربة جديدة في تاريخ الديانات، وفي تاريخ مصائر الأمم، وفي تاريخ الاتجاهات، أحدث تحوّلاً في التاريخ..» [٢] ويرى الشيخ أنه ينبغي أن تعنى المؤسسات التعليمية والتربوية في أقطار العالم الإسلامي، وأن تجعل من أهدافها «إعداد الأمة المسلمة» لتعود إلى مركز القيادة والسيادة، وتأخذ مكانتها ومركزها في العالم من جديد، ولتنقذ نفسها- قبل ذلك- من غوائل الحضارة الغربية، وتحدد موقفها تجاهها، المنبعث من طبيعة الأمة الإسلامية، ومركزها في العالم، وأنها.. هي صاحبة الرسالة الدينية الأخيرة، وهذه الرسالة هي التي تسيطر- ويجب أن تسيطر على جميع مواقفها، وتصرفاتها. مركزها مركز القيادة، والتوجيه، والحسبة على العالم، والقرآن يعلن بقوة وصراحة ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ الآية- ويقول: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ الآية: ويقول ﴿ليكون الرسول عليكم شهيداً﴾ الآية: فلا يجوز أن يكون مكان هذه الأمة في مؤخرة الركب، وفي صف التلاميذ، والحاشية، وأن تعيش على هامش الأمم، وترضى بالتقليد والتطبيق.. وهي أمة ذات هدف معيّن في الحياة، ورسالة كاملة في العالم، وحضارتها وثقافتها، وكفاحها، وإنتاجها، وكلّ ما يتصل بها، من حركة، ونشاط، خاضع لعقيدتها، وغايتها ورسالتها..» [٣].

(١) الإسلام، أثره في الحضارات، مرجع سابق، ص١٠٣.
(٢) المرجع السابق. ص١٠٠.
(٣) موقف العالم الإسلامي، مرجع سابق ص١٠٠-١٠٢.

يرى الشيخ أن مما يتعلق بهدف «إعداد الأمة المسلمة» ما يفيد أهمية تربية أفرادها على قبول زعامة العالم العربي، باعتباره مهد الإسلام، ومشرق نوره، ومعقل الإنسانية، وموضع القيادة العالمية.. وأن الإسلام هو قومية العالم العربي، ومحمد- عليه الصلاة والسلام- هو روحه وإمامه، وقائده، والإيمان هو قوة العالم العربي، التي حارب بها العالم البشري كله فانتصر عليه، وهو قوته وسلاحه اليوم، كما كان بالأمس.. وأن تضحية شباب العرب قنطرة إلى سعادة البشرية... ولا بدّ من العناية بالفروسية، والحياة العسكرية، ومحاربة التبذير، والفرق الهائل بين الغني والصعلوك.. ووجوب التخلص من أنواع الأثرة.. وبذل الجهد لإيجاد الوعي في الأمة.. والعمل على استقلال البلاد العربية في تجارتها وماليتها..» (١).

٤- إقامة الحضارة الإسلامية:

تجد في كتابات الشيخ ومحاضراته ما يفيد أن من أهداف «التربية الإسلامية» إقامة «الحضارة الإسلامية» ولذا ينبغي التعريف بالحضارة الإسلامية، وأهميتها والحاجة إليها، ومدى تناقضها مع الحضارة الغربية، يقول: «... الدِّين الذي يشمل الحياة البشرية بشعبها ومجالاتها، والذي يسبك الحياة كلّها- عن طريق العقائد، والحقائق التي يدعو إليها- في قالب خاصّ، لا يمكن أن يعيش بغير حضارة خاصّة به، وجو ملائم له، مساعد على تحقيق أهدافه، مثله، وقيمه.. لذلك يجب على القراء - إضافة إلى العقائد والعبادات، والسنن والمستحبات، والسيرة والعادات الإسلامية.. أن يشكلوا في بيوتهم، وفي أجوائهم الحضارة الإسلامية، وطرق الحياة الإسلامية، ويبتعدوا فيها عن خصائص الحضارة الغربية، وشعائرها، كالاختلاط الحر، والسفور الوقح.. إن تجريد أمة عن حضارتها.. مرادف لعزلها عن الحياة.. وفصل

(١) أكثر العبارات اقتبست من كتاب: «ماذا خسر العالم..» مرجع سابق. ص٢٩٧-٣١٢.

لحاضرها عن ماضيها..»[١] ويؤكد الشيخ أن الدّين بدون مدنيّة وحضارة لا يكون له قدرة على التأثير في الأمم والشعوب، يقول: «إن الدّين إذا جرد عن المدنية.. فكان ديناً ولا حضارة، كان ديناً ولا اجتماع، كان ديناً ولا حياة، فهو كطائر مقصوص الجناح، منتوف الريش، لا يستطيع أن يطير، ويحلّق في الأجواء.. لذا ظهر الإسلام، فأنتج حضارة كاملة بحذافيرها.. قامت على أساس العقيدة، وعلى أساس التربية الإلهية، والنصوص القرآنية السماوية، وعلى أساس السيرة النبوية، وأسوة الصحابة- رضي الله عنهم- فكانت أزهى حضارة، وأعقل حضارة، وأعلم حضارة، وأفضل حضارة جربها الإنسان..»[٢].

٥- القضاء على الجاهلية والوثنية العالمية:

تفيد كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه أنّ «القضاء على الجاهلية والوثنية العالمية» من أهداف التربية الإسلامية عند جميع الرسل والأنبياء، يقول: «إن الأنبياء عليهم السلام كان أول دعوتهم وأكبر هدفهم في كلّ زمان، وفي كل بيئة، هو تصحيح العقيدة في الله تعالى.. وكانت حملتهم مركزة موجهة إلى الوثنية القائمة في عصورهم.. وكل من له صلة بالقرآن- وهو الكتاب المهيمن على الكتب السابقة- يعرف اضطراراً وبداهة أن القضاء على هذه الوثنية، والإنكار عليها، ومحاربتها، وإنقاذ الناس من براثنها، كان هدف النبوة الأساسي، ومقصد بعثة الأنبياء، وأساس دعوتهم، ومنتهى أعمالهم، وغاية جهادهم، وقطب الرحى في حياتهم، ودعوتهم حولها يدندنون، ومنها يصدرون، وإليها يرجعون، ومنها يبدؤون، وإليها ينتهون»[٣] ولا شكَّ أن هذا يقتضينا أن نجعل هذا الهدف الأساسي، من أهداف التربية الإسلامية في

---

(١) العقيدة والعبادة والسلوك.. مرجع سابق. ص١٧١-١٧٤.

(٢) أهمية الحضارة في تاريخ الديانات، وحياة أصحابها (مكة - المكتبة الإمدادية /١٣٩٩ ١٩٧٩) ص ٩-١١ .

(٣) العقيدة والعبادة، والسلوك.. مرجع سابق. ص٧٣-٧٤.

جميع مؤسساتنا ومراكزنا التعليمية التربوية، ولذا ينبغي بذل الجهد للحفاظ دائماً على عقيدة التوحيد النقية، الواضحة، التي تعد المنحة الأولى التي مَنَحَها رسول الله ﷺ- للإنسانية [١] يقول في إحدى محاضراته: «.. ثم يجب أن يكون في الاعتبار لدى إقامة كلّ مدرسة أو جامعة، أو اتخاذ منهج تعليمي، لتعليم هذه الأمة، أن يكون الهدف من كل ذلك ترسيخ الإيمان بالعقائد والحقائق التي آمنت بها من ذي قبل..» [٢].

ويقول: «يجب أن يكون هدف الجامعة أن تعمل على إزالة الاضطراب، والقلق الذي يسود جميع الدول الإسلامية، منذ مائة عام تقريباً، تفكَّكَتْ عرى عقائدنا منذ بدأ الغزو الفكري والحضاري الغربي، استنفدت مقاومته معظم القوى العقلية والفكرية والعلمية لدى الدعاة» [٣] ولإيمان الشيخ الشديد بوجوب اتخاذ كل ما أمكن من أساليب ووسائل لتحقيق القضاء على الجاهلية، والوثنية في هذا القرن الخامس عشر، في الأقطار الإسلامية، يوجه أنظار المسؤولين إلى عدة نقاط منها:

١- تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة وإثارة الشعور الديني فيها.

٢-صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف، وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية.

٣- تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبي -ﷺ-، والحب العميق والولوع بدراسة سيرته.

---

(١) السيرة النبوية- مرجع سابق، ص٥٤٢.

(٢) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص١٣٩.

(٣) دور الجامعات الإسلامية، مرجع سابق. ص ٣٨ .

٤-إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة.. بصلاحية الإسلام، وقدرته لا على مسايرة العصر، وتطوراته، وتحقيق مصالحه، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى..

٥-قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب، المنتشر في العالم الإسلامي رأساً على عقب، وصوغه صوغاً إسلامياً، جديداً، يتفق مع شخصية الشعوب المسلمة، وعقيدتها، ورسالتها، وقامتها، وقيمها.

٦-القيام بحركة علمية قوية، دولية، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة بذخائر الإسلام العلمية، وتراثه المجيد، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد.

٧-العمل على التخطيط المدني، المستقل، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى، والارتجالية، ومركب النقص، ولا بدَّ من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها، وفي دوائرها، وفي بيوتاتها»[١].

٦- تعليم العبادات، ومقاصدها، وحكمها:

يقرر الشيخ أن «العبادات تلي العقائد في الأهمية.. وهي الغاية الأولى من خلق الإنسان.. فالعبادات هي حجر الزاوية في نظام الدين كلّه..»[٢] ولذا فمن الطبيعي أن يعد «تعليم العبادات ومقاصدها، وحكمها» من أهداف التربية الإسلامية، ولاهتمام الشيخ بهذا الهدف نجده قد ألَّفَ كتاباً عن العبادات، تحدَّثَ فيه: «.. عن وصفها السماوي، وحقيقتها الشرعية، وتشريعها في الإسلام، ومكانتها في الدين، وفي الحياة الفردية والاجتماعية وعن مقاصدها، وأسراراها، كما قررها الكتاب والسنّة، وفهمها المسلمون المشهود لهم بالخير..»[٣] ونجده يوصي الدارسين والقارئين في أحد كتبه بقوله:

---

(١) القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع - (الهند المجتمع الإسلامي - ١٤٠١/١٩٨١) ص٧١- ٨٠ .

(٢) العقيدة والعبادة، والسلوك- مرجع سابق. ص٨١-٨٣.

(٣) الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج) -ط - (بيروت - دار الفتح -١٣٨٧/١٩٦٧).

«لنَعْتَنِ بالعبادات المشروعة، وأركان الإسلام العملية الأربعة، ظاهراً، وباطناً، وقالباً، وروحاً، ونترسم في كل ذلك -بقدر الإمكان- آثار خطى رسول الله-ﷺ- ونتتبع التتبع الدقيق الأمين، هديه وأسوته وسننه، إذ هو النموذج الأعلى، والمثل الكامل فيها..» [١] ويؤكد هذه الوصية في رسالة له ويبيّن أن «من مزايا الأنبياء - عليهم السلام- ومن كان على قدمهم، أنهم يأخذون بالعزيمة في الدّين، ولا يأخذون بالرخصة- إلاّ بياناً لحكم شرعي، وشكراً لنعمة الله، ورفعاً للحرج عن الأمة ولا يعفون أنفسهم، ولا يتساهلون في العبادات، لأن اتباع الناس للدّين، وعملهم به، بمقدار تصلب هؤلاء السادة في الدين، وتمسكهم به، فإذا اهتمَّ هؤلاء بالنوافل، اهتم الناس بالفرائض، وإذا اكتفى القادة بالفرائض، استرسل الناس إلى تركها، والاستهانة بحقها..» [٢] ولا شكَّ أن الشيخ بهذا يوجّه المسؤولين عن العملية التعليمية التربوية بما ينبغي أن ينتبهوا له في أثناء تحقيقهم لهدف «تعليم العبادات، ومقاصدها، وحكمها».

٧- تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس:

موضوع: «تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس» يأخذ مساحة كبيرة في كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه، وتوصياته، وهذا يفيد أنه يعدّ ذلك من أهداف التربية الإسلامية، وإنّا لنستدل على ذلك - أيضاً - من خلال تأكيده أنها من مقاصد البعثة النبوية يقول: «ومهمة تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس- تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية، ومقاصد البعثة المحمدية.. وقد ذكر النبيُّ - ﷺ- هذا الغرض العظيم، الذي كانت له البعثة، بكلمة الحصر،

(١) العقيدة والعبادة، والسلوك-مرجع سابق. ص١٧٧-١٧٨.

(٢) الإسلام والحكم ط١ (القاهرة- المختار الإسلامي-١٣٩٨/١٩٧٨). ص٢٤.

فقال: «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، وقد كان خير مثال له، وأفضل أسوة فيه..»[١].

يقرر الشيخ أن «..التعليم ليس غاية في نفسه، بل هو وسيلة... وأنها إذا تجردت عن عناصر الحصانة الخلقية والتوجيه الصالح، وعن العقيدة السليمة، وعن الوازع الخلقي والديني، فإن ضررها أكبر من نفعها..»[٢]، ولذا يوجّه المسؤولين عن العملية التربوية التعليمية إلى ضرورة أن يجعلوا «من وظيفة كل مدرسة إسلامية أو جامعة إسلامية، أو مركز إسلامي للتعليم والثقافة، أن يخرجوا رجالاً يقومون عن جدارة ومقدرة بالتلاوة، وبتعليم الكتاب والحكمة، وبالتزكية..» [٣].

ونجد الشيخ يكتب كتاباً يعنى فيه بتبيان أهمية تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، ومعناها، ويتحدث فيه عن «المدرسة الربانية لتهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس»، وأنها «ترياق لسموم غوائل النفس ومكايد الشيطان، وأمراض القلوب، لا يعدله ترياق آخر في القوة والتأثير..» [٤]. وما ذلك إلاّ ليقدم العون والمساعدة لتحقيق هذا الهدف السامي.

٨- التربية على الجهاد في سبيل الله:

يرى الشيخ أن تعريف أبناء المسلمين وناشئتهم على مفهوم الجهاد في سبيل الله، ومكانته ومراتبه، وتربيتهم عليه من أهداف التربية الإسلامية، يقول: «... لم تكن دعوته -ﷺ- مقصورة على معرفة الله، المعرفة الصحيحة، الكاملة، ولا على العقائد الصحيحة الثابتة، ولا على العبادات القلبية،

(١) العقيدة. والعبادة، والسلوك، مرجع سابق. ص١٣٤-١٣٥.
(٢) التربية الإسلامية الحرة، مرجع سابق ص٨٠.
(٣) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص٢١٧.
(٤) العقيدة، والعبادة، والسلوك، مرجع سابق. ص١٥٣.

والبدنية، والمالية المقربة إلى الله، الجالبة لحبِّه ورضاه بل مع ذلك كله، كان الجهاد من خصائص دينه، وأركان دعوته، وأحب الأعمال إليه... والجهاد أربع مراتب؛ جهاد النفس وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين..» (١). ونجد الشيخ يوجه المسؤولين عن التربية والتعليم إلى الخسارة الفادحة التي مني بها المسلون والعرب، وإلى وجوب الاهتمام بالفروسية والحياة العسكرية يقول: «من الحقائق المؤلمة أن الشعوب العربية قد فقدت كثيراً من خصائصها العسكرية، ورزئت في فروسيتها التي كانت معروفة بها في العالم، فكانت رزيئة كبيرة، وخسارة فادحة، وكانت سبباً من أسباب ضعفها، وعجزها في ميدان الجهاد، فقد اضمحلت الروح العسكرية، وضعفت الأجسام، ونشأ الناس على التنعم.. فالمهم لرجال التعليم والتربية وقادة الشعوب العربية، أن يربوا الشبيبة العربية على الفروسية والحياة العسكرية، وعلى البساطة في المعيشة، وخشونة العيش، والجلادة، وتحمل المشاق والمتاعب، والصبر على المكروه..» (٢) ويذكر الشيخ ما يفيد أيضاً ضرورة أن يكون من أهداف التربية الإسلامية، تربية أبناء المسلمين وعامتهم على الجهاد في سبيل الله، وذلك لتقريره أن شروط الزعامة الإسلامية تجمع في كلمتين (الجهاد) و (الاجتهاد) (٣).

سادساً: من وظائف التربية الإسلامية :

١- الربط بين الماضي والحاضر، وبين العلم والعقيدة:

يرى الشيخ أن وظائف التعليم قد تغيرت، فلم يعد ينظر إلى أنظمته، ومناهجه، أنها «.. آلات صماء، لتعليم القراءة والكتابة، ونقل المعلومات، مبعثرة لا تربط بينها وحدة، ولا تجمع بينها غاية، ولا يسيطر عليها إيمان وعقيدة، ولا

(١) العقيدة والعبادة، والسلوك، مرجع سابق، ص١٢٥-١٢٦.
(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مرجع سابق. ص ٣٠٥.
(٣) المرجع السابق. ص١٤٤.

تصل الجيل الحاضر بالماضي، والأبناء بالآباء، بل بالعكس من ذلك، أصبح ينظر إلى النظام التعليمي، من حيث هو: قنطرة تصل بين الحاضر والماضي، والخَلَف بالسلف، والمعلومات بالعقائد، وتدعيم القدرة الموروثة بالعلم والمنطق، والدليل والحجة، ويعتبر هذا النظام التعليمي الذي يتفق عليه أكبر جزء من ثروته، وأعظم قسط من مجهوده، وأوفر نصيب من ذكائه، عملية بناء وتكوين، لا عملية هدم وتوهين، ووسيلة ثقة بين الأفراد، ورباطاً بين الجماعات،لا وسيلة ثورة في الأفكار، واضطراب في النفوس، وتفكك في العرى والقوى»[١]، وليؤكد صحة هذه الوظيفة نجده يقرر أنها محل اتفاق لدى قادة التربية والتعليم في الغرب [٢]، وفي الدول- بشكل عام- ومنها إسرائيل التي تؤكد عليها، وتحققها من خلال عنايتها بالتربية الدينية، والتقاليد اليهودية [٣]، وبذا يؤكد «أن البلد الإسلامي العربي، أحق بأن يستخدم العلم لترسيخ العقيدة، وتثبيت دعائم الحياة» [٤].

٢- الربط بين الأمة، وعناصر ثقافتها:

يؤمن الشيخ أن وظائف التربية الإسلامية الربط بين الأمة الإسلامية، وعناصر ثقافتها الإسلامية، من عقائد وعبادات، وأخلاق، وتصورات، وآداب، وأنماط حياة، وأساليب تفكير.. إلخ، يقول: « .. وظيفة التعليم الأولى، أن يربط بين الأمة، وبين هذه الأشياء، وينقل هذا التراث إلى الأجيال القادمة، والنشء الجديد، ذلك التراث الذي أفرغَ عليه سلفها خير قواهم ومواهبهم.. مسؤولية التعليم أن ينقل هذا التراث إلى الأجيال المتلاحقة، ولا يقتصر على النقل والتصدير فحسب، بل يعمقه في القلوب والأذهان، ويجعل القلوب تسيغه،

(١) نحو تربية إسلامية حرة، مرجع سابق ص٧٤.
(٢) المرجع السابق، ص٧٥-٧٦.
(٣) المرجع السابق، ص٧٦-٧٧.
(٤) المرجع السابق، ص٧٩.

وتتذوقه، ولا يعود نابياً لديها، أو أجنبياً عنها، بل يصير مألوفاً لها، ومحبوباً عندها، ويصير طبيعة لها» [١] ويؤكد الشيخ أن هذه الوظيفة للتربية عامة، ويدلل على ذلك بأقوال وآراء علماء التربية، منهم (السير برسي نن) الذي يقول: «... إن التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه، لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها، إن وظيفة التربية أن تمنح للقوى الروحية فرصة التاثير في التلميذ، تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكن من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديدها إلى الأمام» [٢] ومن الأقوال التي يستدل بها على هذه الوظيفة للتربية قول (جون ديوي): «إن الأمة إنما تعيش بالتجديد، وإن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار، إن هذه الأمة بطرق متنوعة، تكوّن من الأفراد الأمين ورثة صالحين لوسائلها، ونظرية حياتها، وتصوغهم في قوالب عقائدها، ومناهج حياتها» [٣] ولزيادة تأكيد الشيخ على أهمية هذه الوظيفة يقرر أنها محل اتفاق المربين الغربيين والشرقيين، يقول: «.. وعلى هذا الأساس يتفق المعسكران الشرقي والغربي.. أن التربية ليست إلا أداة، مؤثرة، وَفيَّةً، لترسيخ العقيدة، ونظر الأمة إلى الحياة، وللكون، وتعميق جذورها في قلوب الناشئة، ونفوسها، ونقل التراث العقلي، والعقائدي، والاجتماعي، إلى الأجيال القادمة، وإقناعها بضرورة الاحتفاظ بها والمثابرة عليها، والجهاد في سبيلها» [٤].

٣- تأمين المناخ الإسلامي في المجتمع المسلم:

يرى الشيخ أن من وظائف التربية الإسلامية أن تعمل على تأمين مناخ إسلامي، في المجتمع المسلم، لأن الإسلام دين حياة، وحيوية، ونشاط، وفاعلية،

(١) دور الجامعات، مرجع سابق ص٨-٩.
(٢) دور الجامعات..-مرجع سابق ص٧.
(٣) كيف ينظر العالم، مرجع سابق. ص١٢١.
(٤) المرجع السابق. ص١٢٢.

يتدخل في تنظيم جميع جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، ولذا لابدَّ أن يكون الجوّ الذي يحيط به مساعداً على تحقيق ذلك، لأن الإسلام كما يقول الشيخ: « ... دين حيّ، إنساني، ليس ديناً عقلياً يعيش في المخ، أو في فلسفة، أو في مكتبة، بالعكس، إن الإسلام في وقت واحد، عقيدة وعمل، وسلوك وخلق، وعاطفة وشعور، وذوق يسيطر على التفكير والشعور، ويتحكم في موازين الأشياء والقيم، إنه يسبك الإنسان سبكاً جديداً، ويصوغ الحياة صياغة جديدة.. ووقائع حياة النبي ﷺ، وأحداثها وتوجيهاته، وتعاليمه، وأسوته، وسنته- من مجال العقائد، والعبادات، إلى مجال الأخلاق، والمعاملات، إلى المشاعر والانفعالات-تمكن ذلك الجوّ الذي تخضَرّ فيه شجرة الدين، وتورق وتثمر، لأن الدين لايبقى مستجمعاً لجميع شروط الحياة، وصفاتها.. بدون العواطف، والروح، والوقائع، والأمثلة العملية، ومجموعتها الحديث النبوي الصحيح والسنة المحفوظة، وبقاء صوت العهد النبوي -بجانب القرآن- مسجلة.

٤-محاربة الازدواجية في التعليم :

يؤكد الشيخ في كتاباته ومحاضراته على محاربة الازدواجية في التعليم، وأن ذلك من وظائف التربية الإسلامية، لإيمانه الشديد أن العلم وحدة لا تتجزأ، وإنما فيه غايات، ووسائل لا يجوز الخلط بينها، وليقينه أن هذه الوظيفة للتربية الإسلامية هي الخطوة الأولى لإنقاذ الشباب من الحيرة المردية المترتبة على كون « ... المعسكر التعليمي موزعاً بين قسمين: المعسكر الديني، والمعسكر اللاديني، أو العلماني. أو المعسكر القديم، والمعسكرالجديد.. فأول خطوة نخطوها إلى الغاية الصحيحة لإزالة هذه الحيرة، هي تنسيق غايات التعليم، ومواد التعليم.. هي إحداث تنسيق في نظام التعليم، فلا قديم، ولا جديد، ولاديني بالمعنى اللاهوتي.. ولا تعليم دنيوي، أو زمني، أو علماني،

بل التعليم وحدة لا تتجزأ، إنما ينقسم بين غايات ووسائل، ولا بدَّ أن تكون بين هذه الوسائل وحدة تربطها، وتخضعها للغاية الأساسية..»[١]. ويقرر الشيخ أن هذه الوظيفة قامت بها التربية الإسلامية النبوية حيث أحدثت انقلاباً في«دنيا العلوم، يتجلى في مظهرين كبيرين: إن الجانب الأول من جوانب دورها الانقلابي، أنها وحدّت بين العلوم الإنسانية، المتوزعة في وحدات.. كانت متحاربة، متصارعة، لا تلتقي على غاية ولا تتعاون في غرض.

والمظهر الثاني: أنها كانت تؤدي إلى نتائج مختلفة، وتفضي إلى غايات متنافية.. ولكن النبوة المحمدية، والتعاليم النبوية، استطاعت أن تخرط هذه الوحدات المنتشرة، المبعثرة في سلك واحد، وجعلتها متعاونة، متعاضدة، ووسيلة صحيحة لمعرفة الله، وذاته، وصفاته، والكون وغاياته..» [٢] ونجد الشيخ يقدم تعريفاً لمفهوم «وحدة العلم»، بعد تأكيده أن هذا الرأي هو ما يقول به فيلسوف الإسلام (محمد إقبال)، يقول الشيخ: « .. إنني لا أؤمن بتقسيم في العلم وإنني أعتقد أن العلم وحدة لا تتجزأ، ولا تقبل التوزيع، والتصنيف، ولا يصح تقسيمه بين قديم وجديد، وشرقي وغربي، وعملي ونظري، إني أرى - كما يقول محمد إقبال- إن التوزيع بين القديم والجديد، لا يقول به إلاّ قاصروا النظر ضيقوا الفكر، بل إنني لا أؤمن بتقسيم العلم إلى ديني ودنيوي أيضاً، على كلٍّ فإني أؤمن بأن العلم وحدة لا تتجزأ، وما يراه الناس كثرة أراه وحدة، ووحدة العلم، هي صدقه، وواقعيته، وكونه حقيقة، وولوعه بالحقيقة، ونشدان الصدق والواقعية»[٣].

إن إيمان الشيخ بهذه الوظيفة للتربية الإسلامية جعله يذكرها، ويوجّه إليها المسؤولين، أو أصحاب اتخاذ القرار، أو التأثير فيه، جاء أنه قال لوكيل

(١) التربية الإسلامية الحرة، مرجع سابق ص١٠٦.
(٢) أسبوعان في المغرب الأقصى، مرجع سابق. ص٩٨-٩٩.
(٣) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص١٢٣-١٢٤

وزارة الخارجية اليمنية: «ودعامة الحياة الصحيحة عندي في البلاد الإسلامية، وجود الشعور الديني، الصحيح، القوي في الشعوب.. والدعامة الثانية منهاج التعليم الصحيح، والجمع بين العلم المأخوذ من الوحي والنبوة، الذي لا يتطرق إليه الخطأ، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو علم كل عصر، وأساس كل حياة، ومدينة فاضلة، وبين العلوم الطبيعية والمعلومات العصرية، والتجارب، والاكتشافات، التي سبق إليها الغرب، وانتصر بها على الشرق..»[١].

٥-الربط بين الدين والعلم:

يركد الشيخ أن من خصائص الإسلام، أنه دين نابع من العلم، ومرتبط به، ولا يقبل الانسلاخ عنه، ولذا لابدَّ أن يكون من وظائف التربية الإسلامية أن تربط بين الدين والعلم، وتضييق الفجوة بينهما، وذلك من خلال مؤسساتها التعليمية، والتربوية، ومراكزها التوجيهية والتثقيفية، يقول الشيخ: « إن مما يجب الانتباه له أن الوحي الإلهي، أكّد أن طبيعة هذا الدين أنه لن يفارق العلم، لأن الرسالة الأولى، التي وجهها إلى البشرية، تأمر بالقراءة، فكيف يسوغ أن يبقى المسلمون جاهلين، لا يعرفون القراءة، والمسلم الذي قطع صلته عن العلم ليس بمسلم حقيقي، ولا يجوز له أن يدعي أنه ممثل صحيح للإسلام» [٢] ومن هنا يؤكد الشيخ أن من « ... واجبات الجامعات الإسلامية أن تحاول أن لا تقع فجوة بين العلم والدين، كما وقعت بينهما في العالم المسيحي، أو في دنيا الديانات التي لم تكن فيها رابطة بين العلم والعقل، بل إن نشوءها كان مديناً للجهل.. لا يتصور ذلك في الدين الذي أعلن دعوته منذ اليوم الأول، بل اللحظة الأولى بمايلي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الآيات» [٣].

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق. ص٣٠-٣١.
(٢) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص١٣٧ .
(٣) المرجع السابق. ص ١٣٤ .

٦-إعداد شباب يخدمون أمتهم:

يرى الشيخ أن إعداد الشباب المسلم لخدمة أمتهم- وليس لمجرد معرفة القراء والكتابة، أو نيل الشهادات، أو تحصيل العلم للعلم- من أهم وظائف «التربية الإسلامية» لأن الأمة لا تقاس قيمتها بمجرد انتشار «.. القراءة والكتابة في الجمهور، وكثرة وجود مدارس البنين والبنات، وقيام عدد ضخم من الثانويات والكليات، أو نشوء بعض الجامعات، وكثرة المتخرجين فيها، والقاصدين إلى عواصم الأرض للتوسع في الدراسات العليا، والعائدين منها بنجاح باهر، والشاغلين منهم للمراكز الإدارية، والتعليمية الرئيسية..» [١] وإنما تقاس قيم الأمة بنوعية المتخرجين في مؤسساتها التعليمية التربوية، ومدى كونهم «شباباً يقضون حياتهم لخدمة الأمة، ويستعدون للتضحية والفداء.. ويصرفون أوقاتهم، وقواهم الخيرة، ومؤهلاتهم الفكرية والعلمية، والرصيد العلمي والفكري الذي زودتهم به جامعاتهم، في رفع رأس الأمة عالياً،وفي إعلاء كلمة الله، وتعزيز البلد، وإنقاذ الوطن، وفي صنع أمة ذات رسالة وبناء بلد مسموع الكلمة، مرهوب الجانب..» [٢].

٧-إعداد دعاة:

يرى الشيخ أن تخريج علماء أو فقهاء من المدارس والجامعات في المجتمع الإسلامي، لا يغني عن الاهتمام بحاجة المسلمين لإيجاد دعاة تخلف رسول الله ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لذا لا بدَّ أن يكون هذا من وظائف التربية الإسلامية حيث يقول: «اتسع العمران في الحواضر والمدن، وشغلت الحياة وحاجاتها النفوس، فقلَّ من يعتكف في المدارس، وينقطع إليها، ليدرس العلوم الدينية، ويتوسع فيها، وهكذا أصبحت هذه المدارس النظامية، التي

(١) التربية الإسلامية الحرة - مرجع سابق ص ٥٣-٥٤ .

(٢) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص١٤١ .

تخضع لقيود وتقاليد كثيرة، قاصرة عن إصلاح شعبي وتربية عامةّ.. كان المسلمون في حاجة إلى دعاة، وشخصيات قوية، جامعة، تجمع بين تلاوة الآيات، وتعليم الكتاب، والحكمة وتزكية النفوس، وهكذا تخلُفُ الرسول- ﷺ- في أمته، بعد انقطاع النبوة، وتجدد صلتها بالله والرسول، وتجدد الميثاق الذي دخلت فيه هذه الأمة، والمسلمون جميعاً عن طريق الإيمان، والنطق بالشهادتين» [١].

سابعاً: أسس التربية الإسلامية:

نجد في كتابات الشيخ، ومحاضراته، وخطبه، ورسائله الكثير مما يتعلق بأسس التربية الإسلامية؛ الاعتقادية، والاجتماعية، والعلمية، والتعبدية، وسنشير إلى كل منها باختصار- فيما يلي:

١- الأسس الاعتقادية :

يؤكد الشيخ أن تربية كل أمة أو شعب لأبنائها والناشئين فيها، مرتبطة بشكل قوي بعقائدها، وموروثاتها العقلية والدينية، وأنها تسري في جميع مكونات العملية التربوية وعناصرها، فيها يقول: «يعلم المطلعون على حقائق العلوم وفلسفة التعليم، أن للعلوم والكتب، روحاً وضميراً، كالكائنات الحية، وهو باطن هذه العلوم، والروح السارية في الكتب. فالعلوم التي أنشأها الإسلام، وصاغها في قالبه، قد سرت فيها روح الإيمان بالله والتقوى، والخشية لله، والفضيلة، والإيمان بالآخرة: والعلوم التي وضعها اليونان، أو رتبوها، اشتملت على خرافاتهم، وعلى روحهم الجاهلية. وكذلك العلوم التي دونتها أمم أوروبا الملحدة، والكتب التي ألفها أدباؤها وفلاسفتها، قد سرى فيها الإلحاد والجحود، والإيمان بالماديات، والمحسوسات فقط» [٢]، ولأهمية

(١) الإمام عبد القادر الجيلاني ط١ (القاهرة، المختار الإسلامي ١٣٩٩/١٩٧٩) ص٤٩.
(٢) التربية الإسلامية الحرة- مرجع سابق ص ١٠.

هذه القضية في العملية التربوية، وشدة تأثيرها فيها- عند الشيخ-، يؤكد عليها في مرات عديدة، يقول في إحداها: « .. إن روح نظام التعليم، وضميره، إنما هو ظلّ لعقائد واضعيه ونفسيتهم، وغايتهم من العلم، ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة، ومظهر أخلاقهم..» [١] وغرض الشيخ من هذا أن يؤكد للمسؤولين عن العملية التربوية والتعليمية في الأقطار الإسلامية وجوب جعل عقائد الإسلام، وتصوراته عن الألوهية، والإنسان، والكون والحياة، أساساً للتربية الإسلامية، وبخاصّة أنها جاءت بها النبوة الأخيرة، ولم يحدث فيها ما حدث في عقائد الديانات الأخرى، يقول :«إنّا نحن المسلمين بالأولى يتحتم علينا أن نجعل عقائدنا التي جاءت بها النبوة الأخيرة، والدين الذي لم تعبث به يد التحريف، والمسخ، ولم يخضع لقانون التطور والارتقاء..» [٢] أساساً لتربيتنا لأننا نحن المسلمين « ... أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية، وشخصيتنا الإسلامية، ورسالتنا الإنسانية، في كل ما نأخذ وما ندع، وفي كلّ ما نبني ونهدم، وفي كل ما نقتبس ونتلقى..» [٣]. لإيمان الشيخ أنّا بذلك نتمكن من جعل نظام التربية والتعليم لباساً على قامتنا، حيث يخضع لعقائدنا، وديننا وقيمنا، ومبادئنا، ومفاهيمنا، وأهدافنا التي نعيش لها، ولرسالتنا التي أكرمنا الله بها.

ويعرض الشيخ في بعض كتاباته الآثار التربوية لبعض العقائد، والمسلمات والمفاهيم التي جاءت بها النبوة عن خالق الكون والإنسان والحياة، ومصيرها، ونشأتها الثابتة، وكلّ ما يبنى عليها من جوانب الحياة الفكرية،والخلقية، والعلمية، والسياسية، والاقتصادية [٤].

---

(١) المرجع السابق ص٢٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ .

(٣) المرجع السابق ص ٧١ - ٧٢ .

(٤) انظر. أ- كتاب «بين الدين والمدنية » -ط١ (بيروت - مؤسسة الرسالة-١٣٩٨ / ١٩٧٨)، ص١٠٤-١٢٠.

ب - كتاب « كيف ينظر العالم..»، مرجع سابق. ص٧٩-٨٩ .

جـ - رسالة التوحيد - (الهند، مكتبة ندوة العلماء، للكهنو-١٣٨٩/١٩٦٨) -المقدمة.

٢-الأسس الاجتماعية:

يشير الشيخ في بعض كتاباته، إلى ما يسمى عند علماء التربية «بالأسس الاجتماعية للتربية»، منها ما يفيد أن قادة الفكر التربوي في الغرب، والشرق يرون أن تربية شعوبهم ينبغي أن تكون «.. لباساً يفصل على قامة هذه الشعوب وملامحها القومية، وتقاليدها الموروثة، وآدابها المفضلة، وأهدافها التي تعيش بها، وتموت في سبيلها..» [١] ويذكر أن هذا الأساس ينبغي أن تأخذ به التربية الإسلامية في الأقطار الإسلامية- وبخاصة في الجزيرة العربية- لأن «الطالب الذي يعيش في هذه الجزيرة، يستحضر المعاني كلها، ويعيش فيها، فكل ذرة من ذرات هذه الصحراء، وكل جبل من جبال هذه الجزيرة، يذكر بحادث من حوادث التاريخ الإسلامي الأول، ويذكر بما قامت له هذه الجزيرة وعاشت، وبما أريق في سبيله من الدماء الزكية، وبما كانت عليه في الجاهلية من جهل، وفقر، وخمول، وبما عادت إليه بعد الإسلام من علم، وغنى وعزٍّ، وبمن يرجع إليه الفضل في ذلك، وما هو مصدر هذا الانقلاب، والتحول الذي ليس له نظير في تاريخ الإسلام» [٢] وفي ضوء هذا يقرر الشيخ ضرورة مقاومة الذين يجاهدون لجعل الأسس الاجتماعية الغربية من أسس التربية في بلادنا الإسلامية، والذين يدعون «.. دعوة سافرة إلى تقليد الحضارة الغربية وجعلها مثلاً أعلى في الحضارة والاجتماع، ويؤكدون فرحين، مستبشرين، أن العلوم عندنا على أي نحو قد أقمنا صروحه، ووضعنا مناهجه، وبرامجه منذ القرن الماضي على النحو الأوروبي الخالص، ما في ذلك شك ولا نزاع، نحن نُكَوِّنُ أبناءنا في مدارسنا الأولية، والثانوية، والعالية تكويناً أوروبياً لا تشوبه شائبة»[٣].

---

(١) التربية الإسلامية الحرة - مرجع سابق، ص٧٠.

(٢) كيف ينظر العالم، مرجع سابق. ص١٠١-١٠٣ .

(٣) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق ص١٣٤.

ونجده يقول بكل حزم «إذاً لا يجوز التغاضي عن الحالة الاجتماعية في البلد، وما يحتاج المجتمع من موجات وتيارات، ولا بدَّ من العناية بتقويم المجتمع، ومكافحة الأمية، والأمراض التي تفترسه، وتنخر في هيكله، وذلك عن طريق الدعوة الدينية، والخلقية وعن طريق الأدب الصالح، والصحافة الهادفة، التي تتقي الله في أعراض الناس وأخلاقهم..» [١] كما نجده يقرر ضرورة أن «تسهم وسائل الإعلام في التوعية العامة، التي تمهد لتحقيق أغراض التعليم، وإزالة العقبات التي تحول دون تنفيذها، كما تسهم في تنمية روح الإيجابية بين المجتمع والمدرسة، في التعاون مع الجهات التعليمية للوصول إلى ما يحقق أهداف التربية والتعليم على خير الوجوه» [٢].

٣-الأسس العلمية:

نجد في كتابات الشيخ، ومحاضراته الكثير، مما يتصل بالأسس العلمية للتربية الإسلامية، التي يرى أن التربية الإسلامية، لا يمكن أن تحقق أهدافها، وأغراضها إلاّ أن تكون معتمدة على الأساس العلمي لأن الإيمان ينبغي أن «.. يأتي عن طريق العلم، والثقافة، والدراسة، وعن الشعور، والتفكير، وعن طريق إقناع العقل وعن الدراسة المقارنة..» [٣] ولذا كانت أول آية في القرآن (اقرأ) وليست (اعبد) أو (صَلِّ)، وكان في ذلك دلالة على أن هذا الدين نابع من العلم..» [٤] «وأن الإسلام والعلم متلازمان.. ولا يمكن في دنيا الإسلام أن يتصور أحد مفارقة الدين للعلم، لأن الإسلام والعلم رفيقان وفيان، منذ بداية الطريق..» [٥] ولذا فالتربية الإسلامية تؤمن «أن قيمة الشعوب والأمم -فضلاً

(١) كيف ينظر المسلمون، مرجع سابق. ص١٠٧-١٠٨.
(٢) المرجع السابق. ص١٠٩-١١٠، نقلاً عن تاريخ التعليم في المملكة. ص٣٤٧.
(٣) دور الجامعات الإسلامية، مرجع سابق. ص١٣.
(٤) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص٩١.
(٥) المرجع السابق ص٩٥.

عن قيمة الجامعات والمؤسسات- وسر عظمتها، وما تستحق به من إجلال وإكبار، وتقدير واعتراف تتعلق بوجود أصحاب تفوق، واختصاص وشهرة عالمية في علوم، وآداب، ومجالات علمية، وبحوث، واكتشافات جديدة، وهذه كانت ميزة الأمة الإسلامية، فقد كانت للمسلمين الرئاسة العلمية والزعامة الفكرية، نحواً من ألف سنة على الأقل بإقرار من المؤرخين الأوروبيين» [١] ويوضح الشيخ أن الأساس العلمي للتربية الإسلامية لا يعني الأخذ من العلوم الإسلامية ومصادرها فقط، وإنما ينبغي الاستفادة أيضاً من العلوم العصرية الجديدة. كعلم الاقتصاد، والسياسة، ولبعض العلوم الطبيعية والجغرافية والتاريخ.. والعلوم العقلية..» [٢].

٤- الأسس التعبدية:

تفيد كتابات الشيخ ومحاضراته أن العبادات ينبغي أن تكون من أسس التربية الإسلامية لأنها هي وأركان الدين«حجر الزاوية في نظام الدين كلّه، يؤاخذ عليها العبد، ويحاسب، يوم القيامة، أمّا الأمور الأخرى.. فهي وسائل، وفي درجة ثانوية في الدين» [٣]، وذلك لأن للعبادات مقاصد، وغايات كثيرة، منها ما يتصل بتربية الفرد المسلم وتنشئته، وتلبية بعض حاجاته، ومتطلباته، ومن أهمها تحقيق الصلة بين العبد-بطبيعته، وحاجاته، ومتطلباته -، والرّبّ- بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فالإنسان هو «المخلوق، الناقص المتناقض.. والأليف الحنون.. والخاضع الخاشع بالغريزة..» [٤] لا بدَّ أن تكون له صلة، عادلة، معقولة، مع مثل أعلى هو «... الرب الذي هو الإله الحق، والجواد

(١) دور الجامعات الإسلامية، مرجع سابق. ص٣٥-٣٦ .

(٢) التربية الإسلامية الحرة، مرجع سابق. ص. ٩٥

(٣) التغيير السياسي للإسلام، في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي، والشهيد سيد قطب ط٢ (الكويت ، دار القلم، ١٤٠١/١٩٨١م). ص١٠٧.

(٤) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص١٥-١٦.

المطلق، والذي أعطاه من كلّ ما سأل بلسان القال، أو بلسان الحال.. والذي يعلم الخواطر الدقيقة، الدفينة، والأماني الموءودة المنسية،.. والذي هو أقرب من كل قريب، والذي هو دائماً سميع مجيب.. والذي كان السائل الملحف، والداعي المتشبث، أحبّ إليه من أبيٍّ ممتنع، وصامت مُسْتَغْنٍ..»[١] يؤكد الشيخ أن هذا الربّ، العليم بمن خلق، اللطيف الخبير، جعل العبادات أساساً للتربية الإسلامية؛ فالصلاة من «... مقتضى الفطرة، ونتيجة الغريزة، ونداء الضمير، وواجب الشرف، وحاجة الإنسانية، وغذاء القلب.. مطابقة كلَّ المطابقة لوضعه الخاصِّ، ومركزه الدقيق، ومركزه الفريد.. لباساً قد فُصِّلَ على قامته، وعلى قدر حاجته..» [٢] وأمّا الزكاة فإن الشيخ يقرر خطأ من يُغْفِل «روح الزكاة التي تسيطر عليها، وهي روح العبادة، والتقرب إلى الله، وحكمتها الأساسية الأولى، وهي حكمة تزكية النفس من الشح والحرص، والأثرة وحب المال، وظلم الفقراء، وقسوة النفس، وتزكية المال، وتنميته.. تلي هذه المصلحة الأساسية، مصلحة الجماعة والمجتمع، وهي كفالة المجتمع، الكفالة اللازمة الضرورية وسد حاجات الفقراء الطبيعية البدائية، وتهيئة كل عضو من أعضاء المجتمع، أسباب الحياة الشريفة، التي يستطيع بها القيام بحقوق الله، وحقوق النفس، والوصول إلى الكمال المطلوب، والغاية المطلوبة من كل فرد مسلم» [٣]. وأمّا الصوم؛ فيرى الشيخ أنها العبادة التي تجعل الفرد متوازناً، بين تجاذب متطلبات الروح، والجسد، ويستشهد لذلك بقول ابن القيم: «المقصود من الصيام، حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها، ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية.. وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة،

(١) المرجع السابق. ص١٨.
(٢) المرجع السابق. ص٢٢.
(٣) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص١١٢-١١٣.

والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة.. فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات..» [١] وأمّا عبادة الحج فيرى الشيخ أنه «.. بمناسكه، وأركانه، وأعماله، كله تمرين، وتمثيل للإطاعة المطلقة، وامتثال للأمر المجرد، وسعي وراء الأمر، وتلبية وإجابة للطلب..» [٢] ولذا كان الحج - كما يرى الشيخ -، العبادة التي تلبي حاجة المسلم «.. إلى غذاء للقلب، وإلى زاد للعاطفة، وإلى أن يعطي أشواقه، ويروي غلته مرة بعد مرة، وفترة بعد فترة.. وكان البيت العتيق، وما حوله من شعائر الله، والحج وما فيه من مناسك، خير ما يحقق رغبته، ويلبي حنانه وعاطفته،... وحاجته إلى أن يتخطى الدائرة المرسومة من عادات ومألوفات، وقوانين وطبيعة، وحضارة مصطنعة، ومجتمع قاس..» [٣]. ويذكر أقوالاً تفيد في ضرورة أن يكون الحج من الأسس التعبدية، للتربية الإسلامية لأن من مقاصده أنه «.. اجتماع المسلمين العظيم، واجتماع هممهم، ودعواتهم، وقلوبهم الصادقة، من تحريك لرحمة الله تعالى، ومن تحريك للقلوب القاسية، وإثارة للأشواق... وتجديد الصلة بإمام الملة الحنيفية ومؤسسها إبراهيم الخليل-عليه السلام- والتشبع بروحه، والمحافظة على إرثه، والمقارنة بين حياتنا، وحياته، وعرضها عليه، واستعراض ما يعيش فيه المسلمون في العالم وتصحيح ما وقع في حياتهم من أخطاء، أو فساد، أو تحريف، وإعادة ذلك كله إلى أصله، ومنبعه، فالحج عرضة سنوية للملة، تضبط أعمال المسلمين، وحياتهم، ويتخلصون بها من نفوذ الأمم والمجتمعات التي يعيشون فيها» [٤].

(١) المرجع السابق، ص١٧٠.
(٢) المرجع السابق، ص٢٣٠.
(٣) المرجع السابق ص٢٢٥-٢٢٨.
(٤) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص٢٢٣.

ثامناً- مؤسسات التربية الإسلامية:

يرى الشيخ أن أية مؤسسة تربوية- بيت، كتاب، زاوية، رباط، مدرسة، جامعة - أو مركز تعليمي أو تثقيفي، لا يمكن أن يعد من مؤسسات التربية الإسلامية إلاّ إذا تحقق فيه الانتساب إلى مدرسة رسول الله ﷺ التي ربّى فيها صحابته، يقول «... إن لكل شيء نسباً.. وكذلك كل مدرسة لا ينتهي نسبها إلى صفة المسجد النبوي -على صاحبها الصلاة والسلام-، فلا تستحق أن تسمى مدرسة، لأنها - إذاً- منطلق الجهل والضلال، وليست موضع دراسة، وعلم وهدى...» [1].

وتفيد كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه ورسائله أن انتساب المؤسسة التربوية لصفة المسجد النبوي يتحقق عندما يتوافر فيها مايلي:

١- أن يكون التعليم فيها، خاضعاً لعقيدة الإسلام، ورسالته، وأهدافه، وأغراضه، ومقاصده.

٢- أن تتبنى نظام تعليمٍ إسلامي في الروح، والوضع، والسبك، والترتيب، وتتبرأ من أي نظام تعليمٍ أجنبي- شرقي أو غربي- يخلفه في الأساس، والقيمة والمعيار.

٣- أن تضع منهج تعليم إسلامي في أهدافه، ومحتواه، وكتبه، وطرق تدريسه، ووسائله المعينة، وأنشطته، وأساليب تقويمه،... وترفض أن تستورد أو تستعير منهج تعليم أمة غيرمسلمة غربية، أو شرقية.

٤- أن يكون من أهم المواد الدراسية فيها-حسب المرحلة الدراسية-: القرآن الكريم، الحديث، السيرة النبوية، تاريخ الصحابة، التربية المعنوية، التربية البدنية، علم الفقه، وأصول الفقه، واللغة العربية، والأدب العربي، والعلوم العصرية، والعلوم الطبيعية، والعلوم التطبيقية.. إلخ.

---

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص٢٠-٢١

٥- أن تعنى بأنشطة تربوية، تعليمية، ترويحية، تهدف التشبع بروح الدعوة، والاختلاط بالشعب، لأنها خير وسيلة للإيمان بالمبدأ أو الثبات عليه.. والربط بين الطبقة المثقفة، ودهماء الناس.

٦- أن يكون المعلمون في المؤسسة التربوية من الذين يؤمنون بمبادئ الإسلام، وعقائده، وغاياته ويخلصون لها كلَّ الإخلاص، ويدعون إليها بإيمان، وحكمة، وتكون حياتهم خير مثال لما يدعون إليه.

٧- أن تعين في القضاء على الآثار السلبية لنظام التربية الغربي الذي سيطر على المؤسسات التربوية في العالم العربي والإسلامي.

إن الشيخ يُقوِّم بعض المدارس الفكرية التربوية التي قادها مفكرون مسلمون في بعض أقطار العالم الإسلامي في ضوء تلك المواصفات، وينتقد القائمين عليها، رغم إعجابه بقدراتهم وتقديره لاجتهاداتهم، ومن ذلك انتقاده للمدرسة الفكرية التي قادها (السيد أحمد خان) في الهند، وتأسيسه جامعة (عليكره)، حيث لم يخضع النظام التعليمي الذي أخذ شكله النهائي في البيئة الغربية، لطبيعة هذا المجتمع الإسلامي الهندي، الذي كان يريد تطبيقه فيه، وحاجاته، وأوضاعه، ولم يفكر في سبكه سبكاً جديداً إسلامياً هندياً، ولأنه تمسك في هذا النظام التعليمي بتعليم اللغة، والآداب فقط، ولم يعنَ بتعليم الفنون، والعلوم التطبيقية، العملية، العناية التي تستحقها، مع أنها هي ثمرة العلم الجديد النافعة، وسرّ قوة الأمم الغربية وسيادتها[1].

كما نجد الشيخ ينتقد المدرسة الفكرية التي قادها (الشيخ محمد عبده) في مصر، يقول: «كان الشيخ على ماله من حسنات في الدفاع عن الإسلام، وإصلاح مناهج التعليم، وتقريب الدين إلى الجيل الجديد، كان من رواد الدعوة

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية، والفكرة الغربية، مرجع سابق ص٨٧-٧٩ .

للتجدد، والدعوة إلى الملاءمة بين الإسلام، وبين الحياة في القرن العشرين، والتقدير الزائد للقيم الغربية، ومحاولة التطبيق بينها وبين الإسلام.. يقرب في ذلك كثيراً إلى السيد أحمدخان في الهند..»[١] كما نجد الشيخ ينتقد تلامذة المستشرقين وطلائع الفكر الغربي في العالم العربي، والذي كان أعلاهم مكانة، وأكثرهم تأثيراً د.طه حسين-وزير المعارف في مصر[٢].

تاسعاً- جوانب التربية الإسلامية:

تفيد كتابات الشيخ، ومحاضراته، وخطبه، ورسائله، أن التربية الإسلامية دقيقة، وشاملة لجميع جوانب الإنسان - العقل، الجسم، الروح - وحاجاته ومتطلباته، فإن جيل الصحابة - رضي الله عنهم- كان مثالياً «.. بفضل التربية النبوية الدقيقة، الشاملة، بالجمع بين الدين المتين، الذي لا مغمز فيه، والإيمان القوي، الذي لا يعتريه الوهن، وبين الوعي الناضج الكامل، فكانوا لا يَخدعون، ولا يُخدعون، ولا يُسيغون شيئاً ينافي الإسلام، وينفي العقل، وينبذون الذي يضرهم، ويجني عليهم، أو يوقعهم في خطر أو تهلكة..»[٣] وهذا القول وغيره يفيد أن للتربية الإسلامية جوانب متعددة؛ العقدي الإيماني، والعقلي العلمي، والتعبدي الديني، والأخلاقي الاجتماعي، والنفسي العاطفي، والإبداعي الابتكاري. ونجد في كتب الشيخ ما يتناول تربية كل جانب منها على حدة، وبعضها يتناول أكثر من جانب واحد، وبعضها يذكر بعضها حسب موضوع المحاضرة- أومقتضى الحال. وسنشير إلى جوانب التربية الإسلامية- كما نجدها عند الشيخ فيما يلي:

---

(١) المرجع السابق. ص١٢٣

(٢) المرجع السابق ص١٢٤.

(٣) الدعوة إلى الله، مرجع سابق. ٨-٩.

١- الجانب العقدي الإيماني:

مما نجده عند الشيخ بالنسبة لهذا الجانب أنه:

١- ترجم كتاب «تقوية الإيمان» للعلامة الشيخ إسماعيل الشهيد، وأسماه «رسالة التوحيد»، قال في مقدمته: «أما بعد، فقد كنا نشعر بمسيس الحاجة منذ زمن طويل إلى نشر كتاب، واضح المنهج،صريح العبارة، مشرق الديباجة، سهل التناول، ينم عن إخلاص مؤلفه، وصدق لهجته، وتوجع قلبه مما يرى الناس عليه في عصره من الجهل لغاية الخلق، وبعثة الأنبياء والرسل أجمعين، من إخلاص الدين لله، وإفراد العبادة له، والخوف والرجاء منه، والاستغاثة به، والتضرع إليه، ولما كان يرى من انتشار العقائد، والعبادات التي جاءت الأديان لمحوها، وأُنْزِلت الكُتُبُ، وبُعِثَتِ الرسلُ لمحاربتها، والتخليص منها، حتى أصبح الناس من ذلك في جاهلية جهلاء، وفتنة عمياء، واحتاجوا إلى دعوة، صارخة سافرة إلى الدين الخالص، والحنيفية السمحاء»[١].

٢- وضع كتاباً بعنوان «العقيدة، والعبادة، والسلوك، في ضوء الكتاب، والسنة، والسيرة النبوية» - هذا الكتاب يتعلق بتربية عدة جوانب في الإنسان الاعتقادية، والتعبدية، والأخلاقية-، يشير في مقدمته أنه كتاب للدعوة والتربية، يقول: «ووفق الله لتأليف هذا الكتاب، وقد صَبَبْتُ فيه عصارة دراساتي، وخلاصة تجاربي في مجال الدعوة والتربية، ومعرفتي بطبقات الأمة المختلفة، معرفة عملية..» [٢] يذكر في المقدمة - أيضاً- ما يفيد أنه وضعه ليقوم مقام الكتب التي أراد مؤلفوها أن تكون «.. مرشداً، ومربياً للطالبين، مغنياً عن غيره، قائماً مقام المكتبة الإسلامية، فجعله يحتوي على العقائد، والفقه، وتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، والحصول على مرتبة الإحسان، مشتملاً على الترغيب والترهيب، وعلى المواعظ الحكيمة، الرقيقة،

(١) رسالة التوحيد، مرجع سابق. ص٥.

(٢) العقيدة، والعبادة، والسلوك، مرجع سابق. ص٥-٦.

المرققة للقلوب، يثيرها على الإيمان، والعمل الصالح، وتهذيب النفس، ويحذر من أمراض القلب، ويصف علاجها..» [١] ونجد الشيخ يؤكد في هذا الكتاب «أن سمة هذا الدين الأولى، وشعاره المميز، التركيز على العقيدة أولاً، وقبل كل شيء.. وأن أنجح إنسان في تأسيس حكومة، أو إنشاء مجتمع، أو إحداث انقلاب، لا قيمة له عندهم- أي عند الأنبياء- إذا لم يقترن كل ذلك بعقيدة جاؤوا بها، أودعوا إليها، ولم يُقِمْ كل هذه الجهود على أساسها..» [٢].

٣- يقتنص الفرص المناسبة، والمواقف المؤثرة في المؤتمرات والندوات، واللقاءات والمحاضرات، ليؤكد أهمية التربية الإسلامية في بناء الجانب العقدي الإيماني في شخصيات أبناء المسلمين، وحياتهم، وتحقيق رسالتهم، وتصحيح أعمالهم، ومن ذلك:

أ- قوله في مذكرة قدمت إلى أحد مؤتمرات وزراء التربية والمعارف في الدول العربية: «ليست التربية إلاّ أداة، مؤثرة، وَفِيَّةً، لترسخ عقيدة الأمة، ونظرها إلى الحياة، والكون في قلوب الناشئة» [٣].

ب -قوله- في كتابه الموجه إلى صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح، أمير دولة الكويت سابقاً: «... وضنّاً بوقتكم الثمين، أتقدم ببعض ملاحظات ومعروضات... والشيء الثالث: هو توجيه المعارف في البلد الإسلامي العربي، توجيهاً إسلامياً، مؤسساً على تفكير أعمق، وتصميم، وتخطيط خاص، يتفق مع رسالته، وعقيدته، إذ المعارف هي مربية للأجيال القادمة، وعليها يتوقف مستقبل هذا الشعب الديني والخلقي، واتجاهه، وتوجهه للمدينة، ومنع الميوعة والتفسخ الخلقي، في الشباب والنشء..» [٤].

---

(١) المرجع السابق. ص٧.

(٢) المرجع السابق. ص٢٢ .

(٣) كيف ينظر المسلمون، مرجع سابق. ص١١٨.

(٤) المرجع السابق. ص١٢٣-١٢٤.

جـ- قوله في مقالة أعدت لمؤتمر «تكوين الدعاة»: «... يجب أن يكون في الاعتبار لدى إنشاء كل مدرسة، أو جامعة، أو اتخاذ منهج تعليمي، لتعليم هذه الأمة أن يكون الهدف من كل ذلك ترسيخ الإيمان بالعقائد، والحقائق، التي آمنت بها من ذي قبل، وأن يتأتى هذا الترسيخ عن طريق القلب والعقل معاً، ولا يكفي اطمئنان القلب، أو العقل فقط» (١).

د- قوله في خطبة له بعنوان: «غاية التعليم والتربية في العالم الإسلامي ومنهاجه: «أريد أن أقرر أن المسؤولية الأولى، والأهم، والأقدم لجامعة تقوم في بلد إسلامي ، هي أن تؤكد إيمان الأمة بالعقائد، والأفكار التي تؤمن بها، والحضارة التي تحتضنها، والرسالة التي تتبناها، والخصائص والمزايا التي تحملها، حتى لا يعود إيمان هذا الإنسان، إيمان رجل عادي، أو إيمان رجل الشارع، بل يكون إيمان عالم، إيمان مثقف، إيمان دارس، ويطمئن عقله، كما يطمئن قلبه.. وإذا كان الصراع لا يجوز بين الفرد والجماعة، فإنه كذلك لا يجوز بين القلب والعقل في حياة المرء الانفرادية (٢).

٢- الجانب التعبدي الديني :

طبيعي أن نجد هذا الجانب التربوي- عند الشيخ- حيث يؤكد في كتاباته أن طبيعة الإنسان، وخصائصه، وفطرته، تقتضي: «.. أن يكون في خضوع دائم، وفي ركوع أو سجود لا انقطاع لهما، وفي مناجاة ودعاء لا نهاية لهما، أمام الرب... الذي هو أقرب من كل قريب، والذي هو دائماً سميع مجيب...» (٣).

---

(١) دور الجامعات الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.
(٢) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص١٣١.
(٣) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص١٧-١٨.

ومما يدل على اهتمام تربية هذا الجانب في الفرد المسلم - عند الشيخ - ما يلي:

١- تأليفه كتاباً خاصاً بالعبادات، بعنوان «الأركان الأربعة- الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج - في ضوء الكتاب، والسنة- مقارنة مع الديانات الأخرى «للتعريف بهذه العبادات، وبحقيقتها الشرعية. ومقاصدها، وأسرارها، وآثارها في تربية الفرد وبناء المجتمع [١].

٢- تأكيده في كتابه «العقيدة والعبادة، والسلوك، في ضوء الكتاب، والسنة والسيرة النبوية »، أن العبادات تلي العقائد في الأهمية، وتركيز النبوات عليها، وأنها الغاية الأولى من خلق الإنسان. «وقد شرعتها الشرائع السماوية، وجاءت بها الشريعة الإسلامية بصورة أكمل، وعني وشغف بها رسول الله ﷺ، عناية وشغفاً يفوقان الوصف، وجاءت عشرات من الآيات القرآنية، ومئات من الأحاديث النبوية، ترغب فيها، وتنوه بشأنها، وتشيد بذكر فضائلها، وتحرص على التنافس فيها، وتثني على المكثرين، والمعنيين بها، وتندد بالراغبين عنها، أو المقصرين فيها» [٢].

٣- تأكيده على المربين المسلمين أن يلزموا أنفسهم، ويربوا تلامذتهم، وأتباعهم على العبادات، والأخذ بالعزائم في الدين، لأن «من مزايا الأنبياء- عليهم السلام -، ومن كان على قدمهم. أنهم يأخذون بالعزيمة في الدين.. ولا يتساهلون في العبادات، لأن اتباع الناس للدين، وعملهم به، بمقدار تصلب هؤلاء السادة في الدين، وتمسكهم به، فإذا اهتم هؤلاء بالنوافل، اهتم الناس بالفرائض، وإذا اكتفى القادة بالفرائض، استرسل الناس إلى تركها، والاستهانة بحقها..» [٣].

---

(١) انظر في هذا البحث، ص٢٥٢-٢٥٣.

(٢) العقيدة والعبادة والسلوك، مرجع سابق. ص٨١-٨٢ .

(٣) الإسلام والحكم- مرجع سابق. ص٢٤.

٤- تأكيده أن علماء الأمة الربانيين كانوا يتذوقون العبادة، وينهمكون فيها، ويربون تلامذتهم وأتباعهم عليها [١].

٣-الجانب العقلي العلمي:

من الأمور التي تظهر لنا أن الشيخ يعد «الجانب العقلي العلمي» من جوانب التربية الإسلامية، التي ينبغي أن تكون محل اهتمام المربين، والمعلمين ما يلي:

١- تقريره أن إحدى دعامتي الحياة الصحيحة - عنده-: «.. منهاج التعليم الصحيح، والجمع بين العلم المأخوذ من الوحي والنبوة، الذي لا يتطرق إليه الخطأ.. وبين العلوم الطبيعية، والمعلومات العصرية، والتجارب، والاكتشافات التي سبق إليها الغرب، وانتصر بها على الشرق..» [٢].

٢- تأكيده - كثيراً- أهمية العلم ومكانته في الإسلام، وأنه ينبغي أن يكون طريقاً لاطمئنان القلب والعقل معاً، لذا يدعو إلى وجوب أن تكون «الغاية الأساسية للجامعات الإسلامية - ولكل مؤسسة تربوية تعليمية- أن تُوجِدَ.. الإيمان الذي يأتي عن طريق العلم، والثقافة، والدراسة، وعن الشعور والتفكير، وعن طريق اقتناع العقل والدراسة المقارنة..» [٣].

٣- دعوته إلى الاهتمام بالعلم، والبحث العلمي، والدراسة المتنوعة، والتحقيق الدقيق، وتربية الدارسين على محبة العلم، والهيام به بغرض التقرب إلى الله، وترقية البلاد وتقدمها، ونموها، وازدهارها [٤].

---

(١) انظر كتابه- « رجال الفكر والدعوة في الإسلام» - ط١ (دمشق- ١٣٧٩/١٩٦٠).
(٢) مذكرات سائح، مرجع سابق. ص٨٠-٨١.
(٣) الطريق على السعادة والقيادة. ص١٣٢.
(٤) المرجع السابق، ص١٦٨-

٤- تقريره أن «من مآثر سيدنا محمد ﷺ، ومن خصائص بعثته ودعوته، أنه ﷺ أنشأ الرباط المقدس الدائم بين الدّين والعلم، وربط مصير أحدهما بالآخر..» [١].

٥- تقريره أنا «لا نعرف ديناً من الأديان، ولا صحيفة من الصحف السماوية، دعا إلى استخدام العقل، والانتفاع به، وإلى التفكير والاستنتاج، وربط الأسباب بالمسببات، والنتائج بالمقدمات، والاعتبار، والادكار، وذم تعطيل ما وهب الله الإنسان من صلاحية التأمل فيما حوله، والإعراض عن آيات الله في الأنفس والآفاق، والبلاد، والأمم... مثل ما فعله القرآن» [٢].

٦- دعوته إلى ضرورة العناية بتعليم الفنون والعلوم التطبيقية العملية العناية اللازمة، مع جميع العلوم العصرية؛ التربوية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية [٣]. وحثه طلاب إحدى الجامعات الإسلامية أن يعملوا لإحراز جائزة علمية عالمية نحو جائزة (نوبل) [٤].

٤-الجانب الروحي:

نجد في كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه ما يدل على أنه يعدّ تربية الجانب الروحي في الفرد المسلم، من جوانب التربية الإسلامية، بل من أهمها، حيث يرى أنها تتعلق بقسم «الكيفيات الباطنية»، التي تكون مع قسم «الأفعال والهيئات» الشريعة الإسلامية [٥]. ومما نستدل به على ذلك ما يلي:

١-تأكيده أن التربية الروحية - تربية الكيفيات الباطنية - كانت «تلازم رسول الله ﷺ قياماً وقعوداً، وركوعاً وسجوداً، وداعياً وذاكراً، وآمراً وناهياً،...

(١) الإسلام أثره في الحضارة، مرجع سابق. ص٧٩ وما بعدها.
(٢) المرجع السابق، ص٦٢ وما بعدها.
(٣) موقف العالم الإسلامي، مرجع سابق. ص٤٦ وما بعدها.
(٤) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص١٧٥.
(٥) ربانية لا رهبانية. ط١ (بيروت- دار الفتح للطباعة والنشر)، ١٣٨٦/١٩٦٦). ص١٠-١١.

والخشوع في الصلاة، والتضرع، والابتهال في الدعاء، والزهد في زخارف الحياة، وإيثار الآخرة على العاجلة، والشوق إلى الله، إلى غير ذلك من كيفيات باطنية، وأخلاق إيمانية، هي من الشريعة بمنزلة الروح من الجسد» [١].

٢- تقريره أن العناية بتربية الجانب الروحي عند المسلمين كانت منذ القديم، وأنها السبب في ثبات المسلمين أمام الشدائد، والنكبات، والتحديات، ويقول: «وهذا المستشرق الشهير (جب) ألقى ذات مرة خطاباً أمام مجلس جامعة أكسفورد فقال: طالما شهد تاريخ الإسلام، أن الثقافة الإسلامية، قوبلت بمنافسات شديدة، ولكنها لم تنهزم رغماً من ذلك، لأن الأسلوب التربوي الروحي، وتفكير العلماء الربانيين، أسرع إلى دعمها، وتأييدها، ومنحه قوة لم تصمد في وجهها أي طاقة مضادة» [٢].

٣- تأكيده أن من مقاصد العبادات، وأسرارها، تربية الجانب الروحي، في الفرد المسلم، ولذا وجدت عبادات مفروضة، وأخرى نافلة، فالصلوات الخمس، وجبات روحية، وحقن صحية، عيَّن أعدادها وأوقاتها العليم الحكيم.. وهي معقل المسلم ومفزعه.. وفيها الآداب المشروعة لتقوية الجوّ الإيماني، الروحاني.. وقيام الليل.. أقوى وسيلة لتغذية الروح، وشحن بطارية القلب، ويؤكد - الشيخ - أن للإكثار من النوافل تأثيراً لا يعرف لغيرها في صفاء النفس، والسمو الروحي، والاتصال بعالم القدس، وتلقي التجليات الأخروية.. وهي ميراث النبوة بروحها وأحكامها، ولذا فمن واجبات قادة الإصلاح ورجال التعليم والتربية، والحركات الدينية أن يعملوا للحفاظ على هذا الإرث، فهو الثروة المباركة، وأن لا ينطفئ نورها مهما تغيّرت الأوضاع..» [٣] وأمّا عبادة

(١) المرجع السابق. ص١١.

(٢) القرن الخامس عشر الهجري، مرجع سابق. ص٣٤-٣٥.

(٣) عبارات مقتبسة من كتاب «الأركان الأربعة»، مرجع سابق. ص٢٣. وما بعدها.

الزكاة، ففيها الكثير من التربية الروحية، وتزكية النفس من الأمراض الباطنية، تفيد في تنمية «.. روح الإخلاص، والتواضع، والامتنان (لا المن)، والإكرام الذي يجب أن يقترن به أداة الزكاة، ويتصف به صاحبها، وهي الآداب الدقيقة والأخلاق السامية النبيلة، والروح الدينية التي حث عليها القرآن، وأشاد بها...» [١] وأمّا عبادة الصوم فلها شأن كبير في تربية الجانب الروحي في الإنسان، لأن الصوم «... يحد من شَرَه هذه المادية المَعديَّة، ويعيد للنفس ما فقدته من حياة ونشاط، ومن جدّة وقوَّة، وليشحنها شحناً، روحانياً، إيجابياً، تستطيع أن تحفظ به اعتدالها في الحياة، وتقاوم به مغريات الشهوة، ومفاسد التخمة، وتتخلق ببعض أخلاق الله، وتنال نصيباً، فتسعد به، وتسمو، وتلحق بالملائكة، والملأ الأعلى، فترتع في رياض الروح والقلب..» [٢] ويرى الشيخ أن الله فرض الصوم «.. لإعانة الروح، التي تجني عليها التخمة، والحياة المترفة الرتيبة، فتصبح هزيلة عليلة..» [٣] حيث يصبح «رمضان، موسماً عالمياً، للعبادة، والذكر، والتلاوة، والورع، والزهادة، يلتقي على صعيده المسلم الشرقي، مع المسلم الغربي..» [٤]. وأمّا بالنسبة لعبادة الحج، فدورها في تربية الجانب الروحي، عند المسلم كبير، ففيها ما يلبي حاجة الإنسان في بحثه عمن «.. يوجه إليه أشواقه، ويقضي به حنينه، ويشبع به رغبته الملحة في التعظيم والدنو..» [٥] «وما يلبي حاجته إلى أن يشهد موسماً هو ربيع الحب والحنان.. وملتقى المحبين والمخلصين، ومشهد العشاق والهائمين..» [٦] حيث يحج إلى بيت الله الحرام الذي «أصبح مركزاً للهداية والإرشاد، والإشعاع الروحي

(١) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص١٢٢.
(٢) المرجع السابق. ص١٦٩.
(٣) المرجع السابق. ص١٨٩.
(٤) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص١٩٨.
(٥) المرجع السابق. ص٢٢٢.
(٦) المرجع السابق. ص٢٢٧.

والغذاء العاطفي، تقام حوله المناسك، وتغذى به العاطفة، وتشعل به مجامر القلوب، وتشحن به بطاريتها الفارغة» [١].

٥- الجانب النفسي العاطفي:

نجد في كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه، ما يفيد أن «الجانب النفسي العاطفي» هو من جوانب التربية الإسلامية، ومن ذلك ما يلي:

١- تقريره في كلامه على حقيقة الإنسان أنه ليس مجرد عقل أو جسم فقط، وإنما فيه قلب، وعواطف، وأشواق، ومحبة، وهيام، تحتاج إلى تربية، وتوجيه نحو محبة الله، ولما يتصل بحاجاته، وميوله، ومتطلباته، يقول الشيخ: «... إن الإنسان ليس عقلاً مجرداً، ولا كائناً جامداً.. إن الإنسان عقل، وقلب، وإيمان وعاطفة، وطاعة، وخضوع، وهيام، وولع، وحب وحنان، وفي ذلك سر عظمته، وشرفه وكرامته...

إن صلة هذا الإنسان بربه.. هي صلة حب، وعاطفة كذلك، والدين لا يمنع منه ذلك، بل يدعو إليه، ويغذيه، ويقويه، فتارة يقول القرآن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [٢] وتارة يقول: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ..﴾[٣].. إن الصفات - أي صفات الله - هي التي تثير الحب، وتبعث الحنان، لذلك أطال القرآن في ذكرها..» [٤]؟

٢- تأكيده للمربين والمعلمين على الدورالفعال للعبادات في تربية الجانب النفسي العاطفي عند الإنسان، فالصلاة «... استجابة لغريزة البشر النوعية، غريزة الضعف والطلب، وغريزة الالتجاء والاعتصام،.. وهي غذاء الروح

(١) المرجع السابق ص٢٤٣..
(٢) البقرة: ١٦٥ .
(٣) التوبة: ٢٤ .
(٤) المرجع السابق.

وبلسم الجروح، ودواء النفوس،.. وأما النوافل فإنها، تورث اضمحلال العبد في إرادة الله تعالى، وخشيته؛ وحُبِّه، والانسلاخ عن الطبيعة السبعية، أو البهيمية، التي هي مصدر الظلم والطغيان، والإثم والعدوان، ومصدر الهوى، ومخالفة أمر الله..» [١]. وأمّا دور الزكاة في تربية الجانب النفسي العاطفي في المسلم فلا يقل عن دور الصلاة [٢]، وكذلك بالنسبة للصوم [٣] والحج [٤].

٣-توجيهه العلماء والمربين أن يكونوا مثل العلماء العارفين الربانيين الذين كانوا يعنون بتربية الجانب النفسي العاطفي في ذواتهم، وفي تلامذتهم، حيث كانوا.. «يدعون إلى التزكية الخالصة من شوائب العجمة، والفلسفة، وإلى «الإحسان» و«فقه الباطن» من غير تحريف، وانتحال تأويل، ويُجَددُّون هذا الطب النبوي. ويوجدون في الجمهور، قوة مقاومة الشهوات، وفتنة المال والولد، وزينة الحياة الدنيا..» [٥] ومظاهر الترف والزينة والتفاخر.

٤-تأكيده للعلماء والمربين ضرورة تربية الجانب النفسي العاطفي في تلامذتهم، بتنمية محبتهم لله، ولرسوله، وللإقبال على الآخرة، والرغبة في الجنة، وإيثار الآخرة على العاجلة، والطمع في مرضاة الله وثوابه، وبمعالجة عبادة النفس، والهوى، واتباع الشهوات، والبحث عن أكبر كمية من الثراء، وأي نوع من العزِّ والشرف، وأي جاه محسود، ومنصب مرموق [٦].

---

(١) الأركان الأربعة، مرجع سابق. ص٨٥

(٢) انظر: المرجع السابق. ص١٤٦ وما بعدها.

(٣) انظر: المرجع السابق. ص٢٠٢ وما بعدها.

(٤) انظر: المرجع السابق. ص٢٢٥ وما بعدها.

(٥) ربانية لا رهبانية، مرجع سابق. ص١٤.

(٦) عبارات مقتبسة من كتاب « الطريق إلى السعادة والقيادة» مرجع سابق. ص٢١٧-٢١٨.

٦- الجانب الاجتماعي الأخلاقي:

تجد في كتابات الشيخ وخطبه ومحاضراته الكثير مما يدل على أنه يعد تربيـة «الجـانب الاجتمـاعي الأخـلاقي» من جوانب التربية الإسـلامـية. ومن ذلك ما يلي:

١- تأكيده في كتابه «العقيدة والعبادة، والسلوك في ضوء الكتاب والسنة، والسيـرة النبوية» على أهمية التربية الاجتماعية الأخلاقية في القرآن الكريم، والسنة النبوية، وفي كتابات علمائنا المسلمين منذ القديم. حيث نجد فيه ما يلي:

أ- قوله في فصل جعل عنوانه «المدرسة الربانية لتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس: «وهنا مجموعة من آيات، هي تعليمات أساسية، لتهذيب الأخلاق، وتزكيـة النفـوس، وترياق لسـموم غـوائل النفس، ومكايد الشيطان، وأمـراض القلوب، لا يَعْدِلُه ترياق آخر، في القوة والتأثير، فإنها تنزيل من حكيم حميد، وشـرع من فـاطر النفـوس. وتعليم من النبي المعصـوم.. من أخـذ نفسـه بهـا، وراقبها في جد وصرامة، وفي إخلاص وأمانة، بلغ الغاية من تهذيب الأخلاق، وتزكيـة النفس، وإذا أخـذ بهـا فـرد، سعـد وتزكى، وإذا أخـذ بهـا مـجتمع كان مجتمعاً مثالياً» (١).

ب - قـوله في فـصل جـعل عنوانه «تهـذيب الأخـلاق، وتزكيـة النفـوس، والأخلاق، والشمائل النبوية» «.. مهمة تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية، ومقاصد البعثة المحمدية..» (٢).

ج - جـعل عنوان مـقـدمـة الكتـاب «نظرة في الكتب التـوجـيـهـيـة التـربوية الممثلة للمكتبة الدينية في مختلف العصور، والحاجة إلى تأليف جديد « ذكر

(١) العقيدة والعبادة والسلوك، مرجع سابق. ص١٥٣.
(٢) انظر المرجع السابق. ص١٣٤.

فيه أنه «وُجدَ- بطبيعة الحال، في طبقة المعنيين بشؤون هذه الأمة، واتجاهات هذا المجتمع، والمطلعين على كثرة متطلبات الحياة، ومشاكل العصر، وحيرة المسلم بها- شعورٌ بالحاجة إلى كتاب منقح يكون مرشداً ودليلاً للمسلم في العبادات، والمعاملات، والأخلاق، والعادات، وقانوناً ودستوراً للحياة..» [١] وذكر من هؤلاء العلماء: الإمام الغزالي وكتابه «إحياء علوم الدين»، والإمام ابن الجوزي، وكتابه «منهاج القاصدين»، والإمام الحافظ ابن قيم الجوزية، وكتابه «زاد المعاد في هدي خير العباد» وقرر أنه «... أكبر مجهود في هذا الاتجاه وأعظمه قبولاً، وانتشاراً..» [٢] وكان الشيخ عندما يعرف بمحتوى كل كتاب يشير إلى الجوانب الأخلاقية الاجتماعية فيه [٣].

٢- تأكيده أنه قد نيطت بهذه الأمة الإسلامية، مسؤولية الوصاية على العالم، والحسبة على الأخلاق، والاتجاهات، وسلوك الأفراد والأمم، ومسؤولية القيام بالقسط والشهادة لله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واعتبار نفسها أنه تسأل يوم القيامة عن مدى قيامها بهذا الواجب.. [٤].

٣- توجيه نظر المسؤولين والقادة المربين إلى ضرورة الاهتمام بتربية الجانب الاجتماعي الأخلاقي في المتعلمين، يقول: «... الجامعات مقصرة في العناية بالتربية الخلقية.. وضرب الأمثلة العملية، وعرض النماذج الخلقية الجميلة،... وذلك يجعلني أشك في مستقبل هذه الجامعات من ناحية الأخلاق، وبذلك يخيل إلينا أن النقص في أساس هذا التعليم، وإذا لم يزل هذا النقص، فإن التعليم لا يزال يؤتي هذه الأكل، والنقص هو اختلال الاتزان بين المعلومات والأخلاق» [٥].

---

(١) المرجع السابق، ص٥-٦.
(٢) المرجع السابق. ص١١.
(٣) انظر في المرجع السابق: ٧-٢٠
(٤) الإسلام، أثره في الحضارة مرجع سابق. ص١٠٣.
(٥) مذكرات سائح في الشرق العربي، مرجع سابق. ص١٣٢-١٣٣

٤- دعوته إلى ضرورة تربية الجانب الأخلاقي عند الأفراد بتخليتها عن الرذائل، وتحليتها بالفضائل، لأن «.. الأخلاق الرذيلة هي الحجب الصفيقة، التي تمنع من الانتفاع بالتعليمات النَّبويَّة، والانصباغ بصبغة الله، وهي التي تجعل الإنسان فريسة للنفس، ولعبة للشيطان، وتعرضاً للخطر،وتورطاً في المهالك» (١).

٥- تقريره أن من وظائف أية مؤسسة تعليمية تربوية إسلامية أن تعنى بتربية الناشئين والمتعلمين على الأخلاق الفاضلة، وتزكية نفوسهم، حيث يقول: «... ومن وظيفة كل مدرسة إسلامية أو جامعة إسلامية، ومركز إسلامي للتعليم والثقافة، أن تخرج رجالاً يقومون عن جدارة، ومقدرة بالتلاوة، وبتعليم الكتاب والحكمة، وبالتزكية: الأركان الأربعة، والمقاصد الأولى التي كانت لها البعثة..» (٢)، والشيخ يرى أن المراد بالحكمة «الأخلاق الفاضلة، والآداب الإسلامية..» (٣) والمراد بالتزكية «.. تهذيب النفس، وتحليتها بالفضائل وتخليتها من الرذائل..» (٤).

٧-الجانب الإبداعي الابتكاري:

نجد في كتابات الشيخ ومحاضراته، ما يدل على أنه يعد «الجانب الإبداعي، الابتكاري» من جوانب التربية الإسلامية، ومن ذلك ما يلي:

١-حزنه وأسفه على عدم وجود ظاهرة الإبداع والابتكار في الميادين العلمية عند شباب الأقطار الإسلامية، وذلك لعزوفهم عن الدراسات العلمية، والتجريبية والتطبيقية، واهتمامهم بالدراسات الأدبية، والإنسانية، حيث يقول:

(١) العقيدة والعبادة، والسلوك، مرجع سابق. ص١٨٠.
(٢) الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص٢١٧-٢١٨
(٣) المرجع السابق. ص٢١٥.
(٤) المرجع السابق. ص٢١٧.

«... ولكنه مع الأسف، إن الأفاضل من العرب، إنما كان موضع اهتمامهم التاريخ، أو الأدب فقط، وما بذلوا عنايتهم على العلوم التجريبية من العلم، والكيمياء، والفيزياء، إلاّ قليلاً جداً، ومن ثم لم ينبغ عبر البلاد الإسلامية، رجل يبتكر نظرية علمية، أو يسلم له بالأوساط العلمية بالسبق، والفضل في أي مجال، أو يكون محط أنظار، وموضع إعجاب في المحافل الدولية، والمجالس العلمية العالمية..»[١].

٢-حثّه الشباب المسلمين على الاجتهاد-كل في مجال تخصصه- ليبدعوا ويبتكروا، ويخترعوا، ما يؤهلهم للفوز بأرقى الجوائز العلمية العالمية، ويلفتوا نظر العالم، ويدخلوا السرور على قلوب المسلمين حيث يقول: «أيها الشباب، إخوتي الطلبة الأعزاء: اجتهدوا، أنتم في مجال علم الزراعة- المحاضرة كانت في جامعة الزراعة بفيصل آباد- وأحرزوا فيه قصب السبق، حتى تستطيعوا أن تبتكروا نظرية جديدة، ذات قيمة تستأهلكم لجائزة نوبل.. يا سادة: إنني ألفت أنظار الفتية المسلمين في كل أنحاء الأرض، ولاسيما في البلاد والأقطار الإسلامية إلى ذلك، وأستقطب اهتمامهم إلى أن يقوموا بعمل عظيم، ذي أصالة، وثورة تسترعي انتباه العالم، ويجعله يؤخذ به، ويعترف بأن في المسلمين من يتمتع بالمؤهلات العقلية، وقدرة الابتكار، والإنتاج، والعبقرية، والذكاء العجيب»[٢].

عاشراً - أساليب التربية الإسلامية:

نجد في كتابات الشيخ، ومحاضراته وخطبه مايدل على أن من أساليب التربية الإسلامية التي ينبغي أن تأخذ بها المؤسسات التربوية الإسلامية،

(١) الطريق إلى السعادة والقيادة - مرجع سابق. ص١٧٥ .
(٢) المرجع السابق. ص١٧٥-١٧٦ .

وترى أنها ينبغي أن تكون أساليب تربوية حكيمة، يقول: «.. إن إنشاء الجيل الجديد، أو تقويم الجيل المعاصر الذي لم يفقد صلاحيته ونموه ليس بالأمر الهين.. إنها تتطلب أساليب التربية الحكيمة، العميقة الأثر، وجهوداً عملية في ميدان الدعوة والإصلاح..» [١] ومن هذه الأساليب التربوية الحكيمة التي نجدها عند الشيخ ما يلي:

١- التربية بالحوار:

يرى الشيخ أن أسلوب التربية بالحوار، كان من أساليب التربية الإسلامية التي استعملها رسول الله ﷺ في تعليمه وتربيته ودعوته كثيراً، ومن ذلك الحوار الذي جرى بينه -عليه الصلاة والسلام-، وكنانة بن عبد ياليل [٢]، يقول الشيخ: «وكانت الوفود تتعلم الإسلام، وتتفقه في الدين» ويسألون رسول الله ﷺ عمّا يجول في خاطرهم في بساطة وصراحة، وبجيبهم رسول الله ﷺ، في بلاغة وحكمة، ويستشهد بالقرآن، فيؤمنون ويطمئنون» [٣] ويذكر- بعد هذا- مثالاً لذلك يجعل عنوانه «بين وثني جاهل، وبين نبي معلم» [٤].

٢- التربية بالقدوة:

نجد عند الشيخ مايفيد أن من أساليب التربية الإسلامية «التربية بالقدوة»، ومن أمثلة ذلك أن رسول الله ﷺ شارك المسلمين في حفر الخندق - رغم التعب والشدة - ليكون قدوة لهم، يقول الشيخ: «وعمل رسول الله ﷺ في حفر الخندق، ترغيباً للمسلمين، في الأجر، وعمل معه المسلمون فيه، فَدَأب فيه ودأبوا.

(١) الإسلام والحكم، مرجع سابق. ص ٢٨.
(٢) السيرة النبوية، مرجع سابق. ص٤٣٨
(٣) المرجع السابق. ص٤٣٧-٤٣٨.
(٤) المرجع السابق. ص٤٣٨.

وكان البرد شديداً، ولا يجدون من القوت إلاّ ما يسدُّ الرمق، وقد لا يجدونه، فيقول أبو طلحة: شكونا إلى رسول الله- ﷺ- الجوع، ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله- ﷺ- عن بطنه حجرين، وكانوا مسرورين، يحمدون الله ويرتجزون، ولا يشكون ولا يتعتبون» [١] وممّا يدل على أن أهمية هذا عند الشيخ تذكير الدعاة، والمربين أن «من مزايا الأنبياء- عليهم السلام- ومن كان على قدمهم أنهم يأخذون بالعزيمة في الدين، ولا يأخذون بالرخصة- إلاّ بياناً للحكم الشرعي، وشكراً لنعمة الله، ورفعاً للحرج عن الأمة» وذلك لأنهم قدوة للناس، ونماذج يتأثرون بهم، يقول الشيخ: «لأن اتباع الناس للدين، وعملهم به بمقدار تصلب هؤلاء السادة في الدين، وتمسكهم به، فإذا اهتم هؤلاء بالنوافل اهتم الناس بالفرائض، وإذا اكتفى القادة بالفرائض، استرسل الناس إلى تركها. والاستهانة بحقها..» [٢]، ومما يدل على هذا الأسلوب التربوي الحكيم، فعل رسول الله- ﷺ- بعد فراغه من صلح الحديبية، حيث «.. قام إلى هديه فنحر، ثم جلس فحلق رأسه- وعظُم ذلك على المسلمين- لأنهم خرجوا وهم لا يشكون في دخول مكة والعمرة، ولكن لما رأوا رسول الله -ﷺ- قد نحر-، وحلق، تواثبوا ينحرون ويحلقون» [٣].

٣-التربية بالحوادث:

نجد عند الشيخ ما يفيد أن الحوادث التي تمر بالأمة ينبغي أن توظف لتكون من أساليب التربية لأفراد الأمة وأبنائها، حيث يرى- مثلاً- أن «... ما وقع في أحد من محنة للمسلمين،تمحيصاً وتربية لهم..» [٤] على تحمل المصائب والخسائر، وعلى الثبات على العقيدة، وعلى عدم مخالفة أوامر

(١) المرجع السابق. ص٢٨١-٢٨٢.
(٢) الإسلام والحكم، مرجع سابق. ص٢٤.
(٣) السيرة النبوية، مرجع سابق. ص٣١٧.
(٤) المرجع السابق. ص٢٧١-٢٧٢ .

القيادة الإسلامية الرشيدة. ونجد الشيخ يستفيد من هذا الأسلوب في حياته الدعوية والتربوية، منها كلامه على «خطورة التعصب اللغوي والثقافي» بعد حوادث المسلمين في بنغلادش [١] وكلامه على «المأساة الأخيرة في العالم العربي- دراستها من الناحية الدينية، والخلقية، والمبدئية، والدعوية، وتحليل أسبابها، وانعكاساتها»، وذلك بعد حادثة غزو العراق للكويت [٢] ومحاضرته عن «مستقبل الأمة العربية الإسلامية بعد حرب الخليج - دروس وعبر يجب أن ينتفع بها، وفجوات وثغرات يجب أن تسد» [٣].

٤- التربية بالمواقف:

نجد عند الشيخ ما يفيد أن التربية بالمواقف، من أساليب التربية الإسلامية، حيث اتبع رسول الله ﷺ في مرات متعددة، منها، تربيته المسلمين في حجة الوداع -بشكل عام-، حيث «خرج من المدينة ليحج البيت، ويلقى المسلمين، ويعلمهم دينهم ومناسكهم، ويؤدي الشهادة.. وكانت هذه الحجة تقوم مقام ألف خطبة، وألف درس، وكانت مدرسة متنقلة، ومسجداً سياراً، وثكنة جوالة، يتعلم فيها الجاهل وينتبه الغافل، وينشط فيها الكسلان، ويقوى فيها الضعيف، وكانت سحابة رحمة تغشاهم في الحل والترحال، وهي سحابة صحبة النبي ﷺ وحبّه وعطفه، وتربيته وإشرافه» [٤] ومن أمثلة أسلوب التربية بالمواقف، خطبة رسول الله ﷺ يوم عرفة [٥]، وخطبته في أوسط أيام التشريق [٦].

---

(١) الإسلام في عالم متغير، مرجع سابق. ص١١-٣٤

(٢) المأساة الأخيرة في العالم العربي، ط١ (الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ١٤١٠/١٩٩٠).

(٣) مستقبل الأمة العربية بعد حرب الخليج، (الهند، دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع) ١٤١١/١٩٩١.

(٤) السيرة النبوية، مرجع سابق، ص٤٤١-٤٤٢.

(٥) انظر نص الخطبة في المرجع السابق ص٤٤٩-٤٥٠

(٦) انظر نص الخطبة في المرجع السابق ص٤٥٠-٤٥٢.

٥- التربية بالتعايش مع المسلمين ومخالطتهم - وهذا بمثابة إقامة دورات تربوية:

يذكر الشيخ عند حديثه عن «عام الوفود» وتقاطرها إلى المدينة، ونزولهم في جزء من المسجد، أو في فنائه، وتوصية صحابته بهم ما يمكننا أن نعد أسلوب التربية بالتعايش مع المسلمين، أو أسلوب التربية بإقامة دورات تربوية، من أساليب التربية الإسلامية، يقول الشيخ: «كانت - أي الوفود- تتعلم الإسلام، وتتفقه في الدين، ويشهدون أخلاق رسول الله ﷺ وعشرة أصحابه، وقد تضرب لهم خيم في فناء المسجد، فيسمعون القرآن، ويرون المسلمين يصلون، ويسألون رسول الله ﷺ عمّا يجول في خاطرهم في بساطة وصراحة، ويجيبهم رسول الله ﷺ في بلاغة وحكمة، ويستشهد بالقرآن، فيؤمنون ويطمئنون»[١] فتعود هذه الوفود «.. إلى مراكزها تحمل روحاً جديدة، وشحنة إيمانية في الدعوة إلى الإسلام، وكراهة شديدة للوثنية وآثارها، والجاهلية وشعائرها»[٢].

٦- التربية عن طريق الرحلات، والجولات الدعوية:

تشير كتابات الشيخ أنه كان يستعمل هذا الأسلوب بنفسه، حيث يخرج مع طلابه يوم الخميس بعد العصر، ويذكر أنه «.. قد أفادت هذه الجولات، والتحركات طلاب دار العلوم من النواحي الدينية الإصلاحية، من تحسن وتقدم في الاهتمام بالصلوات، والمحافظة على ذكر الله تعالى، وقيام الليل، مع فوائد أخرى، من تقشف وتحمل للمشاق، وتآلف وتحابب، وأخوة، وصلة قريبة شخصية بالمدرسين، والاطلاع على مواضع الضعف، وعلل النفس في الجماهير المسلمة، ومشاهدة تخلف العامة دينياً وخلقياً، وفشو الجهل فيهم،

(١) المرجع السابق. ص٤٢٧-٤٢٨.
(٢) المرجع السابق. ص٤٣٢.

ونشأ في الممارسين لهذا العمل الشعور بمسؤوليتهم الدينية» [١]، ولإيمان الشيخ بمدى أهمية هذا الأسلوب التربوي نجده يذكره عند كلامه على «قيادة وأسس التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية»، حيث يقول: «إن النقطة المهمة الثانية هي: التشبع بروح الدعوة، والاختلاط بالشعب.. وبهذه الدعوة والرحلات والمخيمات في سبيلها، والاختلاط بالشعب على اختلاف طبقاته تتمكن من محاربة داء شديد، حلَّ جديداً بدور التعليم ورجالها، وهو العزلة عن العالم، الذي يعيشون فيه، والانقطاع عن الأمة التي هم من أفرادها.. وبكثرة اختلاط الطلبة، بالشعب في طريق الدعوة الدينية، والتعليمية، والإصلاحية.. بشكل منظم، وتحت إشراف الأساتذة، تنشأ في الطلبة روح الدين، والجهاد، والكفاح في سبيل الحياة، ويتعودون على الشدة والغلظة في العيش، وتنشأ فيهم كذلك روح الأخوة الصادقة، والمحبة المخلصة، وروح الخدمة والإيثار..» [٢].

٧- بعض أساليب تربوية حكيمة أخرى:

نجد في كتابات الشيخ ومحاضراته توجيهات، ووصايا، وتعليمات، وعرض خبرات ذاتية، ومكتسبة تتصل ببعض الأساليب التربوية الحكيمة، التي ينبغي أن يأخذ بها المعلمون والمربون في حياتنا المعاصرة، ومن ذلك قوله: «الأقطار الإسلامية اليوم بحاجة إلى فريق.. يحل العقد النفسية، والعقلية التي أحدثتها الثقافة الغربية، أو أخطاء علماء الدين، أو سوء التفاهم، أو قلة الدراسة، والابتعاد عن الإسلام وجوّه، بالمقابلات، والصداقات، والمحادثات، والمراسلات، والرحلات، وبالأدب الإسلامي الصالح المؤثر، وبالروابط الشخصية، وبالنزاهة وعلو الأخلاق، وقوة الشخصية، والزهد في حطام الدنيا والعزوف عن

(١) في مسيرة الحياة - الجزء الأول- ط١ (بيروت -دار القلم- ١٤٠٧/١٩٨٧). ص١٨٦-١٨٧.
(٢) التربية الإسلامية الحرة - مرجع سابق: ص١٧-٢٠

الشهوات، وتمثيل أخلاق الأنبياء، وخلفائهم» [١]، والقارئ لسيرة الشيخ الذاتية في كتابه «في مسيرة الحياة» يجد أنه كان يستخدم هذه الأساليب، وغيرها من نحو: «الأحاديث الإذاعية، وإلقاء المحاضرات، واللقاءات الشعبية العامة، وصحبة الشيوخ، ومقابلة العلماء، وإصدار مجلات علمية وتوجيهية، ومؤلفات ومنشورات جديدة في شرح الدين الإسلامي، وعرض الفكرة الإسلامية.. إلخ.

الحادي عشر: غياب التربية الإسلامية - فرض نظام التعليم الغربي:

يأخذ موضوع «فرض نظام التعليم الغربي» في الأقطار الإسلامية- والذي أدى إلى غياب التربية الإسلامية- أو إضعاف تأثيرها في تربية أبناء المسلمين وناشئتهم، مساحة واسعة في كتابات الشيخ ومحاضراته، وخطبه، ورسائله، لإيمانه الشديد أن ذلك هو السبب الرئيسي للمآسي، والمخاطر والاضطرابات، والفتن، التي تصيب تلك الأقطار، ومجتمعاتها، وإنهاكها وإخراجها عن الصبغة الإسلامية، بل وصرفها عن عقائد الإسلام، وغاياته، ومقاصده وقيمه، ومبادئه، ومفاهيمه، وعن الدين وأحكامه وقواعده.

إن دراسة ما نجده عند الشيخ، مما يتعلق بالأسباب التي أدت إلى فرض نظام التعليم الغربي- أو غياب التربية الإسلامية تظهر لنا أنها- كما يراها الشيخ - على قسمين: أسباب خارجية، وأسباب داخلية، وسنعرض لكل منها- بإيجاز- لشدة وضوحها في كتبه [٢] فيما يلي:

أ - الأسباب الخارجية:

١- غارة الأمم الغربية - الحضارة الغربية:

يؤكد الشيخ على هذا السبب كثيراً، لأنه يراه أسَّ البلاء والشقاء، والأسباب الأخرى، يقول: «كان هذا العصر مدهشاً، مؤلماً للعالم الإسلامي،

(١) ردة ولا أبا بكر لها - (مكة - دار الثقافة بمكة - ١٣٨٢). ص٢٢.

(٢) أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع «التربية الإسلامية الحرة» و « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية».

وكان مماثلاً في شيء كثير بالنصف الأول من القرن السابع الهجري الذي قضى فيه التتار على السلطة الإسلامية بالهجوم على مدن العالم الإسلامي، الرئيسية المخصبة، ثم باحتلالهم فيها، وأبدلوا عزة المسلمين بالذل و العار،... ولكن غارة الأمم الغربية وبلدانها- التي تمت في الثلث الأول للقرن الرابع عشر الهجري، وأوائل القرن العشرين الميلادي- اختلفت عنها كلياً فقد رافقتها فلسفات جديدة، ونظام جديد للتعليم والتربية، وأفكار وقيم جديدة، وجيش هائل للإلحاد والتشكيك، ومذهب جديد للمادية» [١]، «وكانت هذه الحضارة- بمعناها الواسع - مجموع عقائد، ومناهج فكرية، وفلسفات، ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية، وعمرانية، واجتماعية، وتجارب خاصة مرت بها الشعوب الأوروبية التي تزعمت هذه الحضارة في رحلتها الطويلة، وكانت مظهر تقدم العلم البشري، وعلوم الطبيعة، وعلم الآلات، والعلوم الرياضية، ومجموع نتائج جهود علماء وباحثين عبر القرون» [٢].

٢-الثورة البلشفية:

تعدّ «الثورة البلشفيّة» -عند الشيخ بمثابة الحضارة الغربية، من أسباب غياب «التربية الإسلامية» - بل ربما كانت أقوى تأثيراً، وأشد بأساً- حيث «.. لم تكن تتناول التاريخ والجغرافية والخريطة السياسية بالتغيير والتحريف فقط. ولم تكن مقصورة في مجال الاقتصاد والسياسة فحسب، إنما كانت تهدم أسس العقيدة، والعمل والأصول والمبادئ، والأخلاق والمجتمع، بل أساس الحياة الإنسانية، والشعور الإنساني بأسره، لكي تقيم على أنقاضه بناءً جديداً، وكانت تهدف الإسلام والمسلمين بأضرارها، وضرباتها أكثر من أي شيء.. ومع الأسف لم يكن هناك من يشعر بهذ الخطر الداهم في وقته

(١) القرن الخامس عشر الهجري، مرجع سابق. ص٦٣ .

(٢) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، مرجع سابق. ص١١-١٢

ويقاومه إلاّ قليلاً.. هذه الثورة البلشفية، لم تشمل دول آسيا المتوسطة الخصبة التاريخية، ذات السكان المسلمين، وتركستان الروسية، والصينية وحدها، ولم تهددها بالردة الفكرية والحضارية فحسب، بل جعلت أجيالها الصاعدة في مواجهة الردة الإيمانية، والعقائدية، وأصبحت تعيد تاريخ الأندلس الذي حدث في القرن التاسع، بل الواقع أن الدول العربية، ومركز الإسلام فضلاً عن شبه القارة الهندية أجبرت على مواجهة هذا الخطر الكبير» (١).

٣- تطبيق نظام التعليم الغربي، واستعارة مناهجه التعليمية:

يؤكد الشيخ أن تطبيق نظام التعليم الغربي - بشكل عامّ- واستعارة مناهجه التعليمية -بشكل خاصّ- كان أقوى الأسباب لغياب التربية الإسلامية عن الأقطار والمجتمعات الإسلامية، يقول: «لا يخفى على المطلع الخبير أن لنظام التعليم روحاً وضميراً كالكائن الحي له روح وضمير، إن روح نظام التعليم وضميره، إنما هو ظل لعقائد واضعيه، ونفسيتهم، وغايتهم من العلم، ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة ومظهر أخلاقهم... إن هذه الروح هي التي تسري في هيكله تماماً.. تلك هي قصة نظام التعليم الغربي.. فإذا طبّق هذا النظام التعليمي في بلاد مسلمة، أو مجتمع إسلامي يحدث به قبل كل شيء صراع عقلي، ثم يتدرج ذلك إلى تزعزع العقيدة، والردة الفكرية وأخيراً إلى الردة الدينية.. وما أحسن ما كتبه أحد علماء الغرب النافذين - محمد أسد- فإن التنشئة الغربية لأحداث المسلمين، ستقضي حتماً إلى زعزعة إرادتهم في أن يعتقدوا أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم ممثلو الحضارة الإلهية الخالصة، التي جاء بها الإسلام وليس ثمة من يرى في أن العقيدة الدينية آخذة في الاضمحلال بسرعة بين المتنورين الذين نشؤوا على أسس

(١) القرن الخامس عشر الهجري، مرجع سابق ص٦٣-٦٥

غربية» [١] ثم يذكر الشيخ كلام- محمد أسد، عن أجزاء برامج التعليم الغربية المختلفة، المؤثرة في عقلية الناشئين المسلمين، ونفسياتهم، وأخلاقهم، ومفاهيمهم [٢]. ولذا يقول الشيخ «لقد كان نظامُ التعليم الغربي محاولةً عميقة وخفية لإبادة العنصر الإسلامي والقضاء عليه، وانتقل مفكرو الغرب من طريقتهم الممقوتة القديمة، التي كانوا يؤثرونها في إبادة الأجيال، والفتك بهم إلى هذه الطريقة الجديدة التي قرروا صوغها في قالبهم، فأسسوا لهذا الغرض مراكز كثيرة باسم الكليات والجامعات» [٣]. وطبقوا فيها مناهجهم التعليمية مع أن «قادة التربية والتعليم في الغرب لا يرون استيراد منهج تعليمي من بلد إلى بلد، ولو كانا يلتقيان على العقيدة، والفكرة الأساسية في الاجتماع، والنظرة الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون، فلا تفكر إنجلترا في استعارة المناهج التعليمية،والنظريات التربوية من فرنسا، ولا فرنسا من إنجلترا..» [٤] وكذلك رفضت البلاد السوفيتية الأخذ بمبدأ التعليم والتربية كمبدأ عام.. ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم من خارج المعسكر الشيوعي، ولا إدخال العلوم والآداب التي نشأت في حضانة المربين البورجوازيين والارستقراطيين-كما تقول اللغة السوفيتية» [٥].

٤- حركة التجديد أو التغريب:

يرى الشيخ أن من أسباب غياب التربية الإسلامية عن الأقطار والمجتمعات الإسلامية «حركة التجديد والتغريب في العالم الإسلامي» [٦] نتيجة:

---

(١) التربية الإسلامية الحرة- مرجع سابق. ص٢٣-٢٦

(٢) المرجع السابق. ص٢٦-٢٨.

(٣) المرجع السابق. ص٣٠.

(٤) المرجع السابق. ص٥٧

(٥) المرجع السابق. ص٥٤-٥٥.

(٦) الصراع بين الفكرة الإسلامية... مرجع سابق. ص١٧٧.

أ- لنظام التعليم الغربي [١].

ب - للمستشرقين ونفوذهم في ميدان التفكير [٢].

ج - لجهود طلائع المتخرجين في أوروبا من أبناء المسلمين [٣].

د - لفتنة بعض القيادات الفكرية والسياسية بحضارة الغرب [٤].

الأسباب الداخلية:

يكشف الشيخ عن الأسباب الداخلية التي شاركت في غياب التربية الإسلامية عن الأقطار والمجتمعات الإسلامية، نذكر منها - بإيجاز- مايلي:

١- تخلف العلوم الإسلامية، وركود الفكر الإسلامي:

يقول الشيخ: «ومن العوامل التي أثرت في انسياق الطبقة المثقفة في العالم الإسلامي، وقادته -الذين بأيديهم أزمة الحكم- مع الحضارة الغربية- وبعدهم عن الدين، وانصرافهم عنه، ذلك الجمود العقلي، والركود الفكري، الذي طرأ على مراكز العلوم الإسلامية، وعلى علمائها من مدة طويلة، ومن أجل ذلك عجزت هذه العلوم الحافلة بالحياة والروح، الصالحة للنمو والازدهار، عن إقامة برهان على صلاحيتها التي تتدفق بها، ومسايرتها مع الحياة المتطورة، وذلك في عصر كانت حاجتها إلى ذلك أشد وأعظم من حاجة كل عصر..» [٥].

---

(١) انظر: المرجع السابق. ص١٧٧-١٩٢.

(٢) انظر: المرجع السابق. ص١٩٣-٢٠٩

(٣) انظر: المرجع السابق. ص١٩٣-١٣٧.

(٤) عاصفة يواجهها العالم الإسلامي والعربي- (القاهرة- دار الجهاد ودار الاعتصام) بدون تاريخ. ص٣١.

(٥) الصراع بين الفكرة الإسلامية... مرجع سابق. ص٢٠٩-٢١٦.

٢- ضعف حال المسلمين:

تفيد كتابات الشيخ ومحاضراته، أن من الأسباب التي ساعدت على غياب التربية الإسلامية، وانتصار أعدائهم عليهم «حال المسلمين في القرون الأخيرة.. فلم يزدد المسلمون إلاّ ضعفاً، ولم تزدد أخلاقهم على مر الأيام إلاّ انحطاطاً وتدهوراً، ولا أحوالهم وشؤونهم إلاّ فساداً، حتى أصبحوا في فجر القرن الرابع عشر الهجري أمة جوفاء، لا روح فيها ولا دم، وصاروا كصرح عظيم من خشب منخور، قائم ، لا يزال يؤوي الناس ويهول من بعيد، أو كدوحة قد تآكلت جذورها، ونخر جذعها العظيم، ولم تنقلع بعد، وأصبحت بلادهم مالاً سائباً لا مانع له، وأصبحت دولهم فريسة لكل مفترس، وطعمة لكل آكل..» [١].

٣ - ابتلاء المسلمين بالشك، والذل النفسي:

يقول الشيخ «فتش عقلاؤهم -أي عقلاء الأعداء- عن منابع القوة الكامنة في نفوس المسلمين وقلوبهم، فوجدوا أن أكبر منبع للقوة والحياة هو (الإيمان).. فعادوه وسلطوا على المسلمين عدوين هما أفتك بهم، وأضر من المغول والتتار، ومن الوباء الفاتك؛ الأول: هو الشك وضعف اليقين الذي لا شيء أدعى للضعف والجبن منه، والثاني: ما نعبّر عنه بالذل النفسي، وهو أنه صار المسلمون يشعرون بالذلة والهوان في داخل أنفسهم، وفي أعماق قلوبهم، ويزدرون كلّ ما يتصل بهم من دين وتهذيب وأخلاق، ويستحيون من أنفسهم، ويؤمنون بفضل الأوروبيين في كل شيء، ويعتقدون فيه كل خير.. وإذا تمكن هذا الذل من نفوس أمة، فقد ماتت وإن كنت تراها تغدو وتروح، وتأكل وتعيش» [٢] ولاشكَّ أن هذا جعل نفوسهم ضعيفة أمام الحضارة الغربية، مستسلمة لمفاهيمها ومبادئها ونظمها التعليمية والتربوية، وموادها الدراسية، وكتبها.. إلخ.. مما أدى إلى غياب التربية الإسلامية.

---

(١) المد والجزر، مرجع سابق. ص٣٨-٣٩.

(٢) المد والجزر، مرجع سابق. ص ٤٠ .

٤- معارضة بعض المربين تطوير نظام التعليم الإسلامي:

تفيد بعض كتابات الشيخ أن من الأسباب التي دعت المسؤولين والمثقفين إلى الانسياق إلى نظام التعليم الغربي الذي أدى إلى غياب التربية الإسلامية، معارضة بعض العلماء المربين المسلمين- خشية من الحضارة الغربية ونظامها التعليمي- تطوير نظام التعليم الإسلامي في مؤسساتهم ومراكزهم التعليمية، ويمثل هذه القيادات علماء الدين، الذين لم يمكنهم «جوُّهم الخاص الذي عاشوا فيه، وثقافتهم القديمة، من السيطرة على هذه الحضارة الغربية، والثقافة الجديدة وقيادتها إلى ناحية جدية، مجدية، تعود على الإسلام والمسلمين بالنفع والقوة..»[١].

الثاني عشر- نتائج غياب التربية الإسلامية - أو تطبيق نظام التعليم الغربي:

وضع الشيخ في كتاب «التربية الإسلامية الحرة» فصلاً بعنوان «صوغ نظام التربية والتعليم من جديد»[٢] وكان أول ما بحث فيه «نتائج تطبيق النظام التعليمي الغربي في الشرق الإسلامي»[٣] ليصل في النهاية إلى تقرير أنه «لا بدَّ من بدء عملية تطوير المناهج لهذا الغرض - نداء الوقت وحاجة العالم المعاصر - وسبك منهج تعليمي جديد، يتغلغل في أحشائه الإيمان بالله، ويسيطر على جميع فروعه وجزئياته، في الأوساط العلمية في الشرق»[٤].

وسنذكر هنا - بإيجاز - بعض هذه النتائج التي جاءت في هذا الفصل[٥]:

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية... مرجع سابق. ص ٧٤.

(٢) التربية الإسلامية الحرة، مرجع سابق. ص٢٣ .

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق. ص٤١ .

(٥) علماً أن الشيخ يتناول هذه النتائج في غير هذا الكتاب، وفي محاضراته وخطبه.

١- روح نظام التعليم وضميره -الذي يطبق في العالم الإسلامي- ظلٌّ لعقائد واضعيه الغربيين، ونفسيتهم، وغايتهم من العلم ودراسة الكون، ووجهة النظر إلى الحياة ومظهراً لأخلاقهم.

٢- نظام التعليم الغربي يختلف في «الأساس، والقيمة، والمعيار» عن نظام التعليم الإسلامي.

٣- تطبيق نظام التعليم الغربي في البلاد المسلمة أدى إلى «صراع عقلي.. تزعزع العقيدة.. الردة الفكرية.. الردة الدينية»؟

٤- أثّرت أجزاء برامج التعليم الغربية في عقول الطلبة، ونفسياتهم وصياغتهم..

٥- ما حدث في الطلبة كان نتيجة تخطيط قادة الفكر الغربي، والدعوة إلى التجديد والتغريب.

٦- نظام التعليم الغربي بمجمله كان «مؤامرة دقيقة لإبادة العنصر الإسلامي» قتل في الأمة دينها، وخلقها، ومروءتها، ورجولتها، وغيَّر فيها عقليتها، ومفاهيمها، وقيمها، وأساليب التفكير فيها.

٧- اعتراف (سميث) بالتأثير العقلي الذي يتركه التعليم الغربي الحديث، ومراكزه في العالم الإسلامي، فقبلت «الحرية والإباحية التي تسود اليوم في العالم الإسلامي».

٨- ذكر الشيخ عدداً كبيراً من مفاهيم الغرب وقيمه التي هي من «ظلال التفكير الغربي في الجيل المثقف الحديث» من نحو: الدين قضية شخصية، فصل الدين عن الدولة، حرية المرأة، محاربة الحجاب، صرف النظر عن الربا والخمر والميسر، والعلاقات الجنسية المنطلقة.

٩- مأساة العالم الإسلامي الكبرى.. أن تظل الأقطار الإسلامية وحدها في فوضى تعليمية، وغموض والتباس، بل في تناقض ومصارعة.

وأجد أن مما يتصل بنتائج غياب التربية الإسلامية أو تطبيق نظام التعليم الغربي ما جاء في «نظرة محمد إقبال إلى نظام التعليم العصري ومراكزه» [١] التي ضمها الشيخ إلى كتابه «التربية الإسلامية الحرة»، وسأذكر منها - مختصراً- ما يتعلق بجنايات المدرسة - كما يراها د. محمد إقبال -، وعرضها الشيخ:

١- جناية النظام العظيمة هي: العناية بتربية العقل، واللسان، دون القلب والعاطفة والأخلاق، «فنشأ جيل غير متوازن القوى».

٢- من مآخذ د. محمد إقبال على التعليم أنه بعث على «التعطل وحب الهدوء والراحة» وأنه مصاب «بالتقليد والجمود» مجرد «من الابتكار والاجتهاد».

٣- يرى د. محمد إقبال «أن هذا الجيل حي قائم بنفسه، ويفكر بعقله، إنه يعتقد أنه ظل لأوروبا، وأن حياته عاريّة من الغرب».

٤- يرى د. محمد إقبال «أن نظام التعليم الغربي قد أضعف الروح المعنوية في الشباب المسلم، وجنى على رجولته جناية عظيمة».

وسأعرض هنا أخيراً بعض آثار غياب التربية الإسلامية، أو تطبيق نظام التعليم الغربي التي أجدها في كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه- مع مراعاة عدم التكرار مع ماسبق:

١- وقوع فجوة بين الإسلام والمسلمين [٢].

---

(١) التربية الإسلامية الحرة- مرجع سابق. ص٤٣-٤٨.

(٢) انظر: أ- أبو الحسن الندوي - خليج بين الإسلام والمسلمين (الهند- دارالعلوم، ندوة العلماء ١٣٧٥/١٩٩٥) ص٢٠-٢١.

ب - مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل- ط١ - (الهند - ندوة العلماء - لكهنؤ-١٤١٠-١٩٩٠) ص٢٠-٢١.

٢- طغيان المادية والأنانية [١].

٣- حب الدنيا، وتقديمها على العقيدة [٢].

٤- حياة البذخ والترف، والتسابق في الفخر والزينة [٣].

الثالث عشر: حلول مشكلات « نتائج » غياب التربية الإسلامية وتطبيق نظام التعليم الغربي:

يهتم الشيخ في كتاباته ومحاضراته وخطبه أن يلفت نظر المسؤولين عن التربية والتعليم، والقادة والحكام التي ينبغي أن يؤخذ بها للقضاء على المشكلات «النتائج» التي أفرزها غياب التربية الإسلامية، أو تطبيق نظام التعليم الغربي في الأقطار والمجتمعات الإسلامية، ومن هذه الحلول مايلي:

١-إعادة نظام التعليم الإسلامي- أسلمة نظام التعليم:

يؤكد الشيخ أن السبيل الأهم لحل مشكلات «غياب التربية الإسلامية».. مهما تعقد وطال، واحتاج إلى الصبر والمثابرة، ليس إلاّ أن يصاغ هذا النظام التعليمي، صوغاً جديداً، ويلاءَمَ بعقائد الأمة المسلمة ومقومات حياتها، وأهدافها، وحاجاتها، ويُخْرِج من جميع مواده روحَ المادية، والتمرد على الله، والثورة على القيم الخلقية والروحية، وتعبد الجسم والمادة، وينفخ فيه روح التقوى، والإنابة إلى الله، وتقدير الآخرة، والعطف على الإنسانية..» [٤] ويعبّر الشيخ عن ذلك في إحدى محاضراته بقوله: «قلب نظام التربية والتعليم

---

(١) انظر أ- إلى الإسلام من جديد ط١ (القاهرة -دار النشر المصرية-). ص١٢٦-١٢٩.
ب : الطريق إلى السعادة والقيادة، مرجع سابق. ص٢٠٠ - وما بعدها.

(٢) المد والجزر، مرجع سابق. ص٤١.

(٣) انظر: أ-درس من الحوادث (الهند-المجمع الإسلامي العلمي-١٣٩٩/١٩٧٩). ص١٠-١١ .
ب - كيف يستعيد العرب مكانتهم، وكيف يحافظون عليها؟-ط١ (الهند- ندوة العلماء- لكهنؤ- ١٤١١/١٩٩٠). ص٢٧.

(٤) التربية الإسلامية الحرة-مرجع سابق. ص٣٧ .

المستورد من الغرب، المنتشر السائد في العالم الإسلامي، رأساً على عقب، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً..» [١]. لأن ذلك هو السبيل «لنقل مركز التوجيه من الغرب إلى الشرق... وإقصاء جميع العناصر التي تفقد الثقة بصلاحية الإسلام، وخلود رسالته، وتحدث البلبلة الفكرية، والاضطراب العقائدي، والتناقض في الحياة والنفاق والأخلاق، ونقل مركز عملية التكوين الفكري والتثقيف العالي من الغرب المحارب للإسلام، المتحرر من ربقة الدين، الثائر على القيم الخلقية إلى الشرق الإسلامي، ومن أساتذة ومربين مشككين إلى أساتذة ومربين مؤمنين متدينين» [٢].

٢-القضاء على ازدواجية التعليم:

يرى الشيخ وجوب القضاء على ازدواجية التعليم، لأنَّ «العلم وحدة لا تتجزأ ولا تقبل التوزيع والتصنيف» [٣] ولأن هذه الثنوية أو الازدواجية هي السبب الأكبر في الحيرة التي يعيشها الشباب.. فهنالك تناقض في المواد الدراسية.. إن هذا يحتاج إلى قلب نظام التعليم رأساً على عقب، يعني إحداث نظام تعليمي كوحدة متكاملة متناسقة.. ويحتاج إلى أناس عندهم الأصالة الفكرية.. إنه يحتاج إلى اجتهاد في المواد الدراسية، وهذا يحتاج إلى مشاريع عملاقة.. تتبناها الحكومات الإسلامية، والمجامع الإسلامية..» [٤].

٣- تربية فريق للبعث الإسلامي الجديد:

يرى الشيخ أن مما تحتاجه الأقطار والمجتمعات الإسلامية فريق إنقاذ ليقود عملية البعث الإسلامي الجديد، ويتم هذا بتربية «.. فريق يتجرد عن

---

(١) القرن الخامس عشر الهجري، مرجع سابق، ص ٧٦.

(٢) عاصفة يواجهها.. مرجع سابق. ص ٣٨.

(٣) المجتمع الإسلامي المعاصر « فضله وقيمته-حاجته ومتطلباته-وطريق الانتفاع به » -الهند-ندوة العلماء- لكهنؤ- ١٤١٠/١٩٨٩ . ص٢٨-٢٩ .

(٤) انظر: من نهر كابل إلى نهر اليرموك- مرجع سابق. ص٢١٠-٢١٢ .

المطامع، ويخلص للدعوة، ويبتعد عن كل ما يوهم بأن همّه الدنيا والمادة، والتغلب على الحكومة، لنفسه أو عشيرته، أو حزبه، بحل العقد النفسية والعقلية التي أحدثتها الثقافة الغربية، أو أخطاء علماء الدين..»[١].

٤- إيجاد الوعي في الأمة الإسلامية، ونشره بين أفرادها:

يرى الشيخ خطورة «فقدان الوعي في الأمة، واقتناعها بكل دعوة، واندفاعها إلى كل موجة، وخضوعها لكل متسلط، وسكوتها على كل فظيعة. وأن تلدغ بجحر مرة بعد مرة، ولا تنصحها الحوادث، ولا تردعها التجارب» ويؤكد الشيخ أن من أعظم ما تخدم به هذه الأمة «... هو إيجاد الوعي في طبقاتها، ودهمائها، وتربية الجماهير التربية العقلية والمدنية والسياسية، ولا يخفى أن الوعي غير فشو التعليم، وزوال الأمية، وإن كانت هذه الأخيرة من أنجح وسائلها..»[٢].

ويرى الشيخ أن هذا ماكان «يمتاز به المجتمع الإسلامي الأول، المثالي الصحابي -رضي الله عنهم- بفضل التربية النبوية، الدقيقة الشاملة..»[٣].

٥- إعادة الثقة بالإسلام، وصلاحيته للقيادة والتوجيه:

يرى الشيخ أن مما ينبغي أن يعمل على تحقيقه في المجتمعات الإسلامية لحل مشكلات غياب التربية الإسلامية، أو آثار تطبيق نظام التعليم الغربي «إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة ومن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية والإعلامية في البلاد والحكومات الإسلامية بصلاحية الإسلام، وقدرته لا على مسايرة العصر وتطوراته وتحقيق مطالبه - فحسب بل على قيادة الركب

(١) ردة ولا أبا بكر لها، مرجع سابق. ص٢٢.
(٢) كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم، وكيف يحافظون عليها، مرجع سابق. ص٢٧ وما بعدها.
(٣) الدعوة إلى الله، مرجع سابق. ص٨-٩ .

البشري إلى الغاية المثلى، وتجديف سفينة الحياة إلى برِّ السلام والسعادة، وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار الذي تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء.. إن ضعف هذه الثقة أو فقدها هو داء هذه الطبقة المثقفة الناشئة في أحضان الثقافة الغربية، أو تحت ضغطها، وهو المسؤول عن كل تصرفاتها، وسبب الردة الفكرية، والحضارية التشريعية..» [١].

٦- عدم إخضاع حقائق الدين ومفاهيمه للتصورات الغربية:

يرى الشيخ أن من واجبات علماء الدين، وأساتذة الجامعات، والمربين، تربية الدعاة، والدارسين والناشئين على ضرورة «صيانة الحقائق الدينية، والمفاهيم الإسلامية، من التحريف وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية، والبحث عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً، والمغالاة في تنظير الإسلام،ووضعه على مستوى الفلسفات العصرية، والنظم الإنسانية، لأن هذه الحقائق الدينية هي أساس الإسلام الدائم، والأصل الذي منه البداية، وإليه النهاية..» [٢] ويرى الشيخ أن في «إخضاعها للتصورات الحديثة، أو تفسيرها بالمصطلحات الأجنبية، إساءة إليها لا إحساناً، وإضعافاً لها لا تقوية، وتعريضاً للخطر لا حصانة، ونزولاً بها إلى المستوى الوطيء المنخفض لا رفعاً لشأنها كما يتصور كثير من الناس» [٣].

٧- الاستفادة من حضارة الغرب على الوجه المشروع:

يرى الشيخ أن من حلول مشكلات غياب التربية الإسلامية الاستفادة من حضارة الغرب على الوجه المشروع، ويؤكد أن إبرازه لمخاطر هذه الحضارة

(١) المجتمع الإسلامي المعاصر، مرجع سابق. ص٣١-٣٢.
(٢) المرجع السابق. ص٢٨-٢٩.
(٣) دور الجامعات الإسلامية، مرجع سابق. ص٢٩-٣٠.

على الشخصية الإسلامية، وكيان الأمة المسلمة لا يقصد منه «.. تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية في مرافق الحياة، واقتباس بعض ما توصل إليه العلم والصناعة، والاختراع في الغرب، من وسائل تسهيل وترفيه، وإغلاق الباب عن مصراعيه، فإن ذلك لا يقوله عاقل فضلاً عن مطلع على روح الدين وتعاليمه، والإسلام لم يزل ولا يزال واسع الأفق، متفتح القلب والنظر في الاستفادة بكل ما يصلح وينفع.» (١).

ونجد الشيخ يوجه المسؤولين والقادة إلى وجوب «معاملة الحضارة الغربية، بعلومها، ونظرياتها، واكتشافاتها، وطاقاتها، كمواد خام، يصوغ منها قادة الفكر، وولاة الأمور في العالم الإسلامي، حضارة قوية عصرية، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جانب، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانب آخر، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم وبلادهم، وما ينفع عملياً وما ليس عليه طابع غرب وشرق، ويستغنون عن غيره، ويعاملون الغرب كزميل وقرين..» (٢).

٨- وجود علماء ربانيين مربين، والاستفادة منهم:

نجد عند الشيخ اهتماماً، وتأكيداً على التعريف بالدور الإيجابي الذي يقوم به العلماء الربانيون المربون في حياة الأمة المسلمة، وأفرادها، وبخاصة عندما تقع فريسة التخلف الديني، أو الاجتماعي أو السياسي، ولذا ليس غريباً أن يؤكد أهمية وجودهم في هذا القرن الخامس عشر الهجري الجديد، وقد وقع المسلمون فريسة الحضارة الغربية ونظامها التعليمي، وغياب التربية الإسلامية، يقول: «وبالمناسبة من أشد حاجات المجتمع الإسلامي الدائمة،

(١) أهمية الحضارة، مرجع سابق. ص٢٧.

(٢) القرن الخامس عشر الهجري، مرجع سابق. ص٧٨-٧٩.

وجود ربانيين صادقين، متبعين لا مبتدعين راسخين في العلم والدين، يربطون القلوب بالله - عند النكسة التي تصيب الحكومات الإسلامية، أو فتنة المادة والشهوات، والتنافس في البذخ والثراء التي تمنى بها المجتمعات المسلمة - ربطاً وثيقاً جديداً، ويبعثون في النفوس التسامي عن الأغراض الخسيسة، والتكالب على حطام الدنيا، ويُكرِّهون إليها الحياة الذليلة، والمتعة الرخيصة، والخضوع المستكين للسلطات والثروات، وبيع الضمائر والذمم، ويحبِّبون إليها الاستماتة في سبيل العقيدة والمبدأ، والشهادة في سبيل الله، ويحاربون اليأس القاتل، ويجددون الأمل في روح الله، ويشتغلون بالدعوة إلى الله وتربية النفوس..» [1].

الرابع عشر- المعلم المسلم، المؤمن بالتربية الإسلامية:

نجد في كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه ما يفيد شدة إيمانه بأهمية المعلم المسلم - المؤمن بالتربية الإسلامية، وأغراضها، وأهدافها، ومبادئها، وقيمها ومفاهيمها - في العملية التربوية التعليمية، ودوره، وصفاته التي ينبغي أن يتحلى بها، وهذا ما نذكره هنا باختصار:

١- يؤكد الشيخ أن كل ما يقال عن مبادئ وأسس التربية والتعليم التي يجب أن تطبق في الأقطار الإسلامية - كي تحل مشكلاته الناجمة عن غياب التربية الإسلامية، والأخذ بنظام التعليم الغربي - يتوقف على نوعية المعلمين، يقول: «ولكن كل ماقلناه في التربية والتعليم يتوقف على وجود معلمين، يؤمنون بهذه المبادئ والعقائد، والغايات، ويخلصون لها كل الإخلاص، ويدعون إليها

(١) المرجع السابق. ص ٣٦.

بإيمان وحكمة، وتكون حياتهم خير مثال لما يدعون إليه»[١]، ونجده يقول - أيضاً: «ومفتاح المفاتيح في هذه الجامعة الإسلامية، وجود أساتذة يجمعون بين الإيمان القوي الراسخ، والعلم العميق الواسع، ويجمعون بين القدوة الصالحة، وبين دراسات واسعة، يتضلعون من القديم، ويفهمون روح العصر الحديث، ومشكلات الشباب ونفسيتهم، وطرق حلها، متصلبون في الأصول، متوسطون في الفروع، يتورعون في دينهم عن المداهنة، وفي العلوم عن الجمود وضيق التفكير أخذوا من القديم الرسوخ والتبحر في العلم، ومن الجديد الاستطلاع، وحب الواقعية..» [٢].

٢- يرى الشيخ أن المعلمين - إذا أحسن اختيارهم - يمكنهم أن يقوموا بمهام «مجمع علمي إسلامي» - عند عدم وجوده-، وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه نظام التعليم الإسلامي، يقول: «ولكننا إذا فاتنا هذا العمل الجليل في الماضي - أي إقامة مجمع علمي إسلامي-، ولانستطيع أن نوقف عملية التربية، ونعطل جهاز التعليم، فيمكن أن يتدارك ذلك - إلى حد ما - باختيار أساتذة يجمعون بين متانة العقيدة، والاقتناع بالإسلام كدين خالد أبدي، وبين الاطلاع الواسع العميق على العلم الحديث.. ما أحوج هذه الجامعة إلى هذا الضرب من العلماء، وما أحسن أثرهم على شباب الجامعة، وما أعظم دورهم الذي يمثلونه في تكوين العقلية الجديدة، وتكوين الجيل الإسلامي الجديد.» [٣].

٣- يشير الشيخ إلى أن عملية اختيار المعلمين الذين سيشاركون في تطبيق التربية الإسلامية، عوضاً عن نظام التعليم الغربي ليست عملية

(١) التربية الإسلامية الحرة - مرجع سابق. ص ٩٩ -١٠٠.
(٢) المرجع السابق ص ٩٩-١٠٠ .
(٣) المرجع السابق. ص٩٧.

بسيطة، وسهلة، ولا يجوز أن تتم وفق معايير علماء التربية الغربيين فقط، وإنما لا بُدَّ من مراعاة معايير أخرى تهتم بها التربية الإسلامية، يقول الشيخ: «إذاً قضية اختيار المعلمين ليست بسيطة سهلة، كما يظن كثير من رجال المعارف، ليس أساسها العلم وحده، والمقدرة التعليمية، والمؤهلات العلمية فحسب، بل يجب أن تكون للسيرة والخلق، والمبدأ والغاية، والإيمان والعقيدة المكانة الأولى، والأهمية الأولى، والأهمية الكبرى في اختيار المعلم»[1].

٣- يذكر الشيخ بعض الصفات التي كان يتحلى بها - قديماً - المعلمون المسلمون، والتي يعوزها النظام التعليمي الإسلامي - حالياً -، فذكر منها ما يلي»:

أ- الإخلاص والإيثار: فكانت أغلبيتهم تسعى من وراء التعلم والتعليم إلى نيل مرضاة الله، وحصول الثواب والأجر في الآخرة، وكان يعتبر هذا الشغل أفضل عبادة، وسعادة عليا لها.

ب - التكريس على العمل: إن انهماك الأساتذة والمعلمين في العهد الماضي في تدريسهم، واستغراقهم فيه، كان قد بلغ أقصى حده، لا يمكن تصوره بدون مثال، فقد كان التعليم والتعلم غذاء روحياً لهم، وعبادة وورِداً لهم، فكانوا يخصصون معظم أوقات حياتهم، وجل وقت نهارهم وليلهم للتدريس...

جـ - الصلات مع الطلبة والعطف عليهم: كانت تقوم صلات وثيقة بين الطلبة والأساتذة، وعلاقات لا يوجد لها مثيل في العصر الحاضر، وفي النظام التعليمي المعاصر، فكانت الطلبة مثل أولاد للأساتذة، بل أعز منهم، يكفلونهم، ويشركونهم في طعامهم..

(١) التربية الإسلامية الحرة- مرجع سابق. ص٢٢.

د- إصلاح الباطن، والعلاقة مع رجال القلب: وكانت الميزة الخاصة التي تجدر بالذكر، أن هذا النظام والقائمين به، والمسؤولين عنه، كانوا رغم انهماكهم بالعلم، وتبحرهم العلمي، وحذقهم في الفن، وشعبيتهم والاعتراف بعظمتهم وكمالهم لا يغفلون تزكية نفوسهم، وتوثيق علاقتهم مع الله.. كانوا يبحثون عن أصحاب القلب السليم، والشيوخ الذين يزكون أنفسهم، فكانوا يقومون بخدمتهم، ويلازمون صحبتهم، ويحسبون رضاهم، وحبهم مكملاً لسعيهم وجهدهم...»[1].

الخامس عشر: مفاهيم ومبادئ تربوية:

يجد الباحث في كتابات الشيخ ومحاضراته، وخطبه، ورسائله الكثير من المفاهيم، والمبادئ التربوية، التي يؤمن بها، ويكشف عنها، ويدعو إليها، وهي نتيجة دراساته الإسلامية، والتربوية والنفسية، والاجتماعية، والتاريخية، وخبراته العملية التربوية والتعليمية والدعوية، واستفادته من المعلمين الربانيين، وشيوخه، ورجال الفكر والتربية والتعليم الذين عايشهم وخالطهم وأخذ عنهم، أو الذين سمع منهم، وحاورهم. ومن أهم هذه المفاهيم والمبادئ مايلي:

١- التربية والتعليم هي الأمانة الأكبر مسؤولية، والأشد خطراً، والأعمق أثراً في مستقبل الأمة وحياتها. (التربية الإسلامية الحرة. ص٢٢).

٢- التربية والتعليم، وسيلة وليس غاية (التربية ص٧٣).

٣- بنيغي التفريق بين الوسائل والغايات في عملية التربية والتعليم. (التربية ص٥٧).

---

(١) المسلمون في الهند- ط٢ (الهند-ندوة العلماء لكهنؤ-١٣٩٦-/١٩٧٦) ص١٠٠-١١٧.

٤- التربية الإسلامية عملية تحتاج إلى مناخ مناسب لتحقق أهدافها. (العقيدة والعبادة. ص٥٢-٥٣).

٥- التربية لباس يفصل على قامة الشعب وملامحه. (التربية ص٧٠).

٦- إن مسألة التربية في البلاد الإسلامية، مسألة مستقلة، قائمة بذاتها، لأن الأمة الإسلامية أمة خاصة في طبيعتها، ووضعها، هي أمة ذات مبدأ وعقيدة، ورسالة ودعوة. (التربية.. ص٧٠).

٧- عقيدة التوحيد أساس العملية التربوية التعليمية في الأقطار الإسلامية (السيرة النبوية).

٨- سياسة التربية والإعلام، أقوى المؤثرات في صياغة الجيل الصاعد. (أسبوعان.. ص١٥١).

٩- النظام التعليمي ليس بضاعة تستورد من بلد إلى بلد.. (التربية. ص٥٧).

١٠- نظام التعليم الإسلامي-التربية الإسلامية: أداة لإنشاء الأجيال التي تؤمن بهذا المبدأ، وتدين بهذه العقيدة، وتحمل هذه الرسالة، وتؤدي هذه الدعوة. (التربية٧).

١١- نظام التعليم الأجنبي: كل تعليم لا يؤدي هذا الواجب، أو يغدر بذمته، ويخون في أمانته.. (التربية ص٧).

١٢- العالم الإسلامي بحاجة إلى صوغ نظام التربية والتعليم من جديد، يلائم عقيدة الأمة المسلمة، ومقومات حياتها. (التربية ص٢٣).

١٣- الجزيرة العربية عاصمة الإسلام، لا يجوز أن يطبق فيها غير التربية الإسلامية، ومن لا يقبل ذلك، فليغادرها (التربية ص٨٥).

١٤- العالم المعاصر بحاجة شديدة للتربية الإسلامية. (التربية ص٤٠).

١٥- نحتاج إلى فكر تربوي تعليمي يجمع بين القديم الصالح، والجديد النافع، وبين التصلب في الأصول والغايات، والتوسع والمرونة في الفروع والآلات. (ندوة العلماء، مدرسة ص١).

١٦- تحديد أهداف المؤسسة التعليمية ضرورة، لأنها يدور حولها نظامها، ومناهجها، ويقوم عليها جهازها العظيم، ولها يخضع كل شيء في المؤسسة، الكتب، والنظم، والأساتذة إلخ (التربية ص ٨٩).

١٧- من أهداف «التربية الإسلامية » تعريف الطلبة رسالتهم، وأنهم يتعلمون ليستحقوا سعادة الدنيا والآخرة، وينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار، وسخط الخالق، والحياة الجاهلية، ويخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.. وليعرفوا أهدافهم، وقيمة علمهم، والتشبع بروح الدعوة، والاختلاط بالشعب. (التربية ص ١٦).

١٨- ينبغي أن يكون في التدريس نصيب للقلب، مثل نصيب العقل، أو أكثر فذلك الذي يزكي النفوس، ويولد الخشوع، والإنابة إلى الله، واتهام النفس. (مذكرات سائح ص٣٠).

١٩- لا قيمة لتعليم يخفق في بناء الأخلاق والقيم. (التربية ص٨٠).

٢٠- مناهج التعليم-الأهداف، العلوم، الكتب، الوسائل.. لها روح وضمير، كالكائنات الحية... (التربية ص١٠).

٢١-منهاج التعليم الإسلامي - التربية الإسلامية-، حاجة أولى من حاجات البلاد الإسلامية، وعمل شاق يحتاج إلى فريق عمل، متكامل متجانس. (التربية ص١١١).

٢٢-الدين الإسلامي نابع من العلم، فهو وليد المعرفة، والهداية الإلهية، والوحي الإلهي، والعلم الرباني (الطريق إلى السعادة ص٩١).

٢٣- العلم وحدة لا تتجزأ، ولا تقبل التوزيع والتصنيف، ولا يصح تقسيمه بين قديم وجديد، وشرقي وغربي، وعملي ونظري. (الطريق إلى السعادة ص١٢٤).

٢٤- أحد دعامتي الحياة الإسلامية الصحيحة، منهاج التعليم الصحيح، الذي يجمع بين العلم المأخوذ من الوحي والنبوة، وبين العلوم الطبيعية، والمعلومات والتجارب والاكتشافات (مذكرات سائح ص٨٠).

٢٥- من أهم المواد الدراسية في التعليم الإسلامي: القرآن الكريم، الحديث النبوي، تاريخ الصحابة؛ التربية المعنوية، التربية المدنية، وتضاف في الجامعة: فلسفة التشريع، وحكم الشريعة، وعلم الفقه وأصوله، الأدب العربي، العلوم العصرية السياسية والاقتصاد والجغرافية والتاريخ، وبعض العلوم الطبيعية والعلمية (التربية ص١٣ وما بعدها و٨٩-٩٥).

٢٦- قيمة البلد ليست بكثرة جامعاتها ومراكزها التعليمية، وإنما بمقدار تكوين الاختصاصات، والقدرات الممتازة في الدراسة والتحقق. (دور الجامعات الإسلامية ص٣٤).

٢٧- كل مدرسة لا ينتهي نسبها إلى صفة المسجد النبوي-على صاحبها الصلاة والسلام-لا تستحق أن تسمى مدرسة. (الطريق إلى السعادة ص٢١).

٢٨- إن مدرسة الإعلام في كل بلد قد أصبحت أقوى من كل مدرسة، وأوسع من كل مدرسة. (كيف ينظر المسلمون ص١٠٨).

٢٩- للمدرسة الحديثة -التربية الحديثة- جنايات عظيمة على أجيال المسلمين. (التربية ص٤٣).

٣٠- قضية اختيار المعلمين هامة، وليست سهلة، وأهم معاييرها، السيرة والخلق، المبدأ والغاية، الإيمان والعقيدة، العلم والقدرة التعليمية، المؤهلات العلمية. (التربية ص٢٢).

٣١- ينبغي مراعاة التيسير والتدريج، والحكمة والمصلحة، واستعداد النفوس في عملية التربية والتعليم. (العقيدة والعبادة ص٣٧).

٣٢- التعصب اللغوي والثقافي كارثة (الإسلام في عالم متغير ص ١١).

٣٣- الحقيقة غير الصورة، فينبغي تربية المسلمين على حقيقة الإسلام والإيمان للظفر على الحقائق المبثوثة في العالم. (الإسلام من جديد ص٥٧).

٣٤- من مبادئ التربية الإسلامية: الوحدة الإنسانية والمساواة البشرية. (السيرة النبوية ص٥٤٤).

٣٥- من مبادئ التربية الإسلامية: إعلان كرامة الإنسان، وسموه. (السيرة النبوية ص٥٤٨).

٣٦- من مبادئ التربية الإسلامية: الجمع بين الدين والدنيا. (السيرة النبوية ص٥٥٨).

نكتفي بعرض هذه المفاهيم والمبادئ التربوية من الكثير الذي يمكن أن يستخرج من ثنايا كتابات الشيخ ومحاضراته وخطبه ورسائله وهي تكشف سعة رؤية الشيخ التربوية، ومدى إحاطته بالكثير من مفاهيمها ومبادئها وأغراضها ومقاصدها الأساسية.

مراجع البحث

١- أبو الحسن الندوي، الأركان الأربعة (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج). الطبعة الأولى، بيروت-دار الفتح ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

٢- أسبوعان في المغرب الأقصى، الطبعة الأولى، بيروت-مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م.

٣- الإسلام وأثره في الحضارة وفضله على الإنسانية؛ الهند-المجمع الإسلامي العلمي ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٤- الإسلام في عالم متغير، بيروت-دار مكتبة الحياة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

٥- الإسلام والحكم، الطبعة الأولى، القاهرة- المختار الإسلامي، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٦- إلى الإسلام من جديد، الطبعة الأولى، القاهرة-دار النشر المصرية.

٧- الإمام عبد القادر الجيلاني، الطبعة الثانية، القاهرة-المختار الإسلامي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٨- أهمية الحضارة في تاريخ الديانات وحياة أصحابها، مكة المكرمة -المكتبة الإمدادية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٩- بين الدين والمدينة، الطبعة الأولى، بيروت- مؤسسة الرسالة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨.

١٠- تأملات في القرآن الكريم، الطبعة الأولى، دمشق- دار القلم ١٤١١هـ/١٩٩١م.

١١- التربية الإسلامية الحرة، بيروت مؤسسة الرسالة ١٣٩٧هـ/١٩٧٧.

١٢- ترشيد الصحوة الإسلامية، الهند- دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

١٣- التفسير السياسي للإسلام في مرآة كتابات الأستاذ أبي الأعلى المودودي والشهيد سيد قطب، الطبعة الثالثة، الكويت-دار القلم.

١٤- حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل، الطبعة الأولى-الهند- المجمع الإسلامي العلمي ١٤١٠هـ/١٩٩٠.

١٥- خليج بين الإسلام والمسلمين، الهند-دار العلوم ندوة العلماء ١٣٧٥هـ.

١٦- درس من الحوادث، الهند-المجمع الإسلامي العلمي ١٣٩٩هـ١٩٧٩م.

١٧- الدعوة إلى الله حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف، الهند- دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع (بدون تاريخ).

١٨- دور الجامعات الإسلامية المطلوب في تربية العلماء وتكوين الدعاة وحماية الأقطار الإسلامية من التناقض والمجابهة. الطبعة الأولى، الهند، المجمع الإسلامي العلمي ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٩- دور الحديث في تكوين المناخ الإسلامي وصيانته، الهند- مطبعة ندوة العلماء ١٤٠١هـ.

٢٠- ربانية لا رهبانية، الطبعة الأولى، بيروت دار الفتح للطباعة والنشر ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

٢١- في مسيرة الحياة-الجزء الأول، الطبعة الأولى، دمشق- دار القلم ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

٢٢- القرن الخامس عشر الهجري الجديد في ضوء التاريخ والواقع، الهند- المجمع الإسلامي العلمي ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٣- كيف يستعيد العرب مكانتهم اللائقة بهم وكيف يحافظون عليها؟ الطبعة الأولى، الهند-ندوة العلماء ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢٤- كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب، الهند- دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

٢٥- المأساة الأخيرة في العالم العربي، الطبعة الأولى، الهند-المجمع الإسلامي العلمي ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

٢٦- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، الطبعة ١٣، الكويت-دار القلم ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٧- المجتمع الإسلامي المعاصر فضله وقيمته، حاجته ومتطلباته، وطريق الانتفاع به، الهند-ندوة العلماء ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٨- المدخل إلى دراسات الحديث النبوي الشريف، الهند-المجمع الإسلامي العلمي ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٢٩- المدخل إلى الدراسات القرآنية، الطبعة الأولى، القاهرة-دار الصحوة ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٣٠- المد والجزر في تاريخ الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة-المختار الإسلامي ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٣١- مذكرات سائح في الشرق العربي، بيروت- مؤسسة الرسالة.

٣٢- مستقبل الأمة العربية بعد حرب الخليج، الهند- دار عرفات للترجمة والنشر والتوزيع ١٤١١هـ/١٩٩١م.

٣٣- المسلمون في الهند، الطبعة الثانية، الهند - ندوة العلماء ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

٣٤- مطالبة القرآن الانقياد التام والاستسلام الكامل، الطبعة الأولى، الهند- ندوة العلماء.

٣٥- من نهر كايل إلى نهر اليرموك-جولة في غرب آسيا، أنقره - دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٣٦- موقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية، الهند - المجمع الإسلامي العلمي ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

٣٧- النبي الخاتم، الهند-المجمع الإسلامي العلمي ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

محتويات البحث

عناصر البحث

الأول: أهمية التربية والتعليم في حياة الأمم والشعوب. ٢٥٧

الثاني: أهمية التربية الإسلامية في حياة الأمة المسلمة. ٢٥٨

الثالث: مفهوم التربية الإسلامية. ٢٦٠

الرابع: مصادر التربية الإسلامية. ٢٦٢

الخامس: أهداف التربية الإسلامية. ٢٦٨

السادس: من وظائف التربية الإسلامية. ٢٧٩

السابع: أسس التربية الإسلامية. ٢٨٦

الثامن: مؤسسات التربية الإسلامية. ٢٩٣

التاسع: جوانب التربية الإسلامية. ٢٩٥

العاشر: أساليب التربية الإسلامية. ٣٠٩

الحادي عشر: غياب التربية الإسلامية-فرض نظام التعليم الغربي. ٣١٥

١-الأسباب الخارجية ٣١٥

٢-الأسباب الداخلية. ٣١٩

الثاني عشر: نتائج غياب التربية الإسلامي- فرض التعليم الغربي. ٣٢١

الثالث عشر: حلول مشكلات غياب التربية الإسلامية - فرض نظام التعليم الغربي. ٣٢٤

الرابع عشر: المعلم المسلم المؤمن بالتربية الإسلامية. ـــــــــــــ ٣٢٩

الخامس عشر: مفاهيم ومبادئ تربوية. ـــــــــــــ ٣٣٢

مراجع البحث ـــــــــــــ ٣٣٧

محتويات البحث ـــــــــــــ ٣٤١